

مقدمة

بقلم الأستاذ حسني إبراهيم جرار⁽¹⁾

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فمنذ قدمت دولة قطر 1383هـ... وأنا سعيد بمعرفة العالم الكبير والداعية المربي الدكتور يوسف القرضاوي..

عملت معه في المعهد الديني يوم كان عميداً للمعهد... يربي الشباب منذ نعومة أظفارهم على الإسلام..

وجلست معه في درس الإثنين في عدد من مساجد قطر.. يفقه الناس بأمور دينهم، ويصحح مفاهيمهم عن الإسلام...

واستمعت إليه في خطب الجمعة.. يلهب العواطف، وبنير العقول، ويغرس في نفوس الشباب والرجال والنساء قيم الإسلام وتعاليمه..

ولازمته في شهر رمضان من كل عام.. يصلي بالناس التراويح، فيشعرون بمتعة التلاوة، وخشوع العبادة، وفقه الدرس..

ورأيت محاضراً في الندوات العلمية والثقافية في قطر وفي غيرها.. يهدي الناس إلى الحق، ويعرفهم مواطن الخير، ويبصّرهم بالطريق السوي..

(1) هو أول من جمع قصائد هذا الديوان من مظانها، ثم أضيفت إليه قصائد أخرى.

تابعته مسافراً يجوب البلاد الإسلامية وغيرها من الأقطار.. لا يكاد يعود
من سفر حتى يشرع في سفر آخر.. يرهق نفسه ويتحمل وعناء السفر..
يحضر المؤتمرات، ويعقد الندوات، ويقدم لأمتة الرأي السديد، والفكر
الرشيد..

شاهدت عامة الناس ينزلون على فتواه، ورجال الفكر يجتمعون على
رأيه..

قرأت مجموعة من كتبه فوجدت فيها دقة العالم، وإشراقة الأديب،
وحرارة الداعية..

استمعت لمقتطفات من شعره.. يحفظها عدد من الإخوة المصريين منذ
الخمسينيات.. فسمعت شعراً كل بيت فيه ينبض بحرارة الإيمان..
واطلعت على مجموعة من قصائده، فوجدت أدباً حياً في مضمون سامٍ
ونغم فريد..

كتبت عن أناشيده في كتاب «أناشيد الدعوة الإسلامية» وكتبت عن شعره
في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث»، وقدمت له في
شعراء الدعوة قصيدتين لا تكاد ترى مثيلاً لهما في الشعر المعاصر..

هذا العالم الجليل عرفه الناس خطيباً ومحاضراً.. وعرفوه كاتباً ومؤلفاً..
وعرفوه داعية ومربيًا، وفقيرًا ومفتيًا.. ولكن قليلاً من الناس عرفه شاعرًا،
مع أنه بدأ حياته وعرف بين زملائه وإخوانه بالقرضاوي الشاعر..

لقد نظم القرضاوي شعراً كثيراً.. سجل فيه أحداث أمته، وصور أفكارها

ومشاعرها أصدق تصوير.. ولو جمع هذا الشعر لكون ديواناً ضخماً، ولكن ذهب أكثره في دوامة المحن المتلاحقة التي أصابت دعاة الإسلام، فكان الأقارب والأصدقاء يتخلصون مما عندهم منه خشية أن يصيبهم مكروه من جراء وجوده عندهم، ولهذه الأسباب لم يبق منه إلا القليل، وهذا القليل الباقي هو الذي نعرض على القارئ في هذا الكتاب، أو هذا الديوان.

وبعد أن اشتركت مع أخي وزميلي الأستاذ أحمد الجدع في إخراج سلسلة «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث».. بدأنا نفكر في جمع أشعار عدد من هؤلاء الدعاة؛ لتحفظ من الضياع، ولتكون زاداً للشباب المسلم في طريق الدعوة إلى الله..

وكان أول شعر بدأت به شعر أستاذنا وأستاذ الجيل المعاصر الدكتور يوسف القرضاوي.

إن هذا الشعر الحي لا بد أن يجمع، ولا بد أن يخرج في كتاب؛ لأنه يمثل تاريخ دعوة، ويحكي قصة شعب، ويدافع عن كرامة أمة.. إنه أدب هادف وذخيرة من ذخائر الأدب الإسلامي المعاصر..

يقول شاعر الإسلام الكبير الشهيد محمد محمود الزبييري: «أرى أن واجب الأدب العربي المعاصر يحتم على من يكتشف ذخائر من الأدب الحي الذي يستحق الخلود أن يقدمه إلى التاريخ، وأن يعلنه للناس، وأن يبشر به عشاق الأدب».

وبعد أن اكتشفت هذه الذخائر بدأت في تسجيلها، وأخذت أبحث عن شعر الدكتور القرضاوي عند من يحفظون شيئاً منه، وفي المجالات القديمة كمجلة

الدعوة ومجلة المباحث القضائية في القاهرة، والمجلات الحديثة كمجلة الحق التي كان يصدرها المعهد الديني في قطر، ومجلة حضارة الإسلام الدمشقية، وغيرها من المجلات الإسلامية.

وجلسنت مع الشاعر مرات عدة سجلت فيها ما يحفظ من شعره، وأخذت ما بقي عنده من أوراق مكتوب عليها بعض قصائده..

وتمكنت -بِعون الله- من الحصول على مجموعة القصائد والأنشيد التي يحويها هذا الديوان. وسأواصل البحث عما بقي من هذه الذخائر الأدبية لأثبتها في طبعات قادمة -إن شاء الله تعالى.

خطة الكتاب:

قسمت العمل في هذا الكتاب إلى الأقسام الثلاثة التالية:

القسم الأول: حياة الشاعر وشعره..

كتبت فيه عن حياة الشاعر، وعن الشخصيات التي أثرت في حياته، وعن الأحداث التي عاصرها، وأعماله الرسمية التي مارسها، ونشاطه في خدمة الدعوة، ونشاطه في تأليف الكتب، ونشاطه في الشعر، والأغراض الشعرية التي طرقها في شعره، ثم عن تحوله من الشعر إلى الفقه والدعوة.

القسم الثاني: القصائد..

دونت في هذا القسم خمس عشرة قصيدة للشاعر رتبته حسب تاريخ نظمها، وقمت بكتابة تقديم لكل قصيدة ذكرت فيها موضوع القصيدة، والمناسبة التي قيلت فيها، وتاريخ نظمها، والمكان الذي نظمت فيه.. كما ذكرت أسماء الكتب والمجلات التي نشرتها إن كانت قد نشرت من قبل. وفي

النهاية أثبت عدد أبيات القصيدة.

القسم الثالث: الأناشيد..

دونت في هذا القسم ستة أناشيد للشاعر رتبته أيضًا حسب تاريخ نظمها، وقمت بكتابة تقديم لكل نشيد ذكرت فيه تاريخ نظم النشيد، ومناسبته، والكتب والمجلات التي نشرته.

وبعد، فإني أرجو الله تعالى أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه وابتغاء مرضاته.. إنه سميع مجيب..
والحمد لله أولاً وآخراً.

حسني أدهم جرار

الدوحة في غرة شوال 1405هـ

* * *

حياة الشاعر وشعره

حياة الشاعر.

شخصيات أثرت في حياته.

الأحداث التي عاصرها.

أعماله الرسمية.

نشاطه في خدمة الدعوة.

نشاطه في تأليف الكتب.

نشاطه في الشعر.

شاعريته وميزات شعره.

الأغراض الشعرية في شعره.

بين الفقه والشعر.

حياة الشاعر

ولد الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي عام 1926م في قرية «صفت تراب» التابعة لمركز المحلة الكبرى، من أعمال محافظة الغربية بمصر، ونشأ في أسرة متدينة رقيقة الحال يشتغل أفرادها بالزراعة، وانتقل والده إلى رحمة الله تعالى وهو في الثانية من عمره، فكفله عمه، وأحاطه من الرعاية بما يفتقد لدى الكثير من الآباء. ووجد في أبناء هذا العم الفاضل خير ما يلقاه أخ من إخوته البررة، فنشأ في جو من الحنان والرعاية كان فيه يعتبر العم أباً وأبناء العم إخوة، واتسعت دائرة هذا العطف حوله حتى أصبح موضع رعاية من سائر أقاربه.. فكان هذا تعويضاً عن يتمه المبكر.

وفي الخامسة من عمره تم إلحاقه بأحد كتاتيب القرية الأربعة ليحفظ القرآن الكريم، ولما وافته السابعة أدخل المدرسة الإلزامية التابعة لوزارة المعارف ليتلقى فيها المعارف العصرية: كالحساب والتقويم والتاريخ والصحة وغيرها، فكان يجمع بين الكتاب والمدرسة، هذا في فترة الصباح وتلك في فترة المساء.

وقبل أن يبلغ العاشرة أكرمه الله فأتم حفظ القرآن الكريم حفظاً لا يكاد يضيع منه حرفاً مع الإمام بأحكام التجويد.. وأقيم له بهذه المناسبة الطيبة حفل متواضع في الكتاب، حيث وزعت الحلوى والشربات وأطلقت الزغاريد، وقرأ فيه آخر لوح من المصحف كتبه بيده من سورة «الضحى» إلى سورة «الناس»، وكان يتلو كل سورة ثم يهمل بعدها ويكبر: لا إله إلا الله، والله أكبر، والله الحمد. والتلاميذ يكبرون معه، فكان حفلاً بهيجاً يتطلع إليه كل

تلميذ في الكتاب.. ومن يومها أصبح في نظر أهل قريته «الشيخ يوسف»، وبسبب ما من الله عليه من حسن التلاوة كثيراً ما كانوا يقدمونه ليؤمهم في الصلاة، وبخاصة الصلاة الجهرية، وذلك تأثراً بما يتقن من تلاوة، وما يزين هذه التلاوة من نغمة توجه المشاعر الخاشعة إلى مضامين الآيات القرآنية. وهذا التشيخ المبكر حرمة فرص اللعب التي يستمتع بها أقرانه من الصبية، وأعطاه الحصانة التي حفظت عليه شبابه، والوقار الذي لازمه طيلة حياته.

وعاش الشيخ يوسف حياة إسلامية هنيئة في جو ريفي جميل، يحمل في ثناياه عبير الحب والتعاون والصفاء.. عاش مع أبناء قريته يقبسون من نور القرآن، ويقبلون على تلاوته، ويتنافسون في حفظه..

وفي أعقاب تخرجه من المدرسة الإلزامية كان لا بد لأهله من أن يختاروا له الطريق الذي سيسلكه في الحياة.. ولم يكن أحب إليه من متابعة طريق العلم الذي اجتاز مرحلته الأولى، فكان يتحرق شوقاً إلى اليوم الذي يصبح فيه عالمًا.. إلا أن عمه لم يكن على مثل رأيه، فهو على الرغم من حبه للعلم وحرصه على تشجيع ربيبه الذكي.. كان يرى أن طريق العلم طويل طويل، ومع طوله لا يضمن لصاحبه العيش المنشود، هذا فضلاً عما يتطلب من نفقة تضيق عنها قدرتهم، ولهذا حاول إقناعه بتعلم حرفة توفر له وسائل العيش من أقرب طريق. غير أن رغبة الفتى كانت أقوى من حجة عمه، فما زال يحاوره في ذلك حتى شرح الله صدر عمه لتحقيق أمنيته، وساعده في ذلك أبناء عمه الذين أعلنوا استعدادهم للتضحية بكل شيء في سبيل تعليمه.

وهكذا يسر الله له طريق العلم، فالتحق أولاً بمعهد طنطا الديني الابتدائي، حيث قضى أربع سنوات، انتقل بعدها إلى معهد الثانوي الذي استمر فيه

خمس سنوات، ومن ثم رحل إلى القاهرة للدراسة العليا في الكليات، حيث التحق بكلية أصول الدين، وحصل منها على الشهادة العالية سنة 52-1953م، وكان ترتيبه الأول على دفعته، ثم التحق بتخصص التدريس بكلية اللغة العربية، فحصل على العالمية مع إجازة التدريس حائزاً المرتبة الأولى على خمسمئة طالب من كليات الأزهر الثلاث، ثم التحق في عام 1957م بمعهد البحوث والدراسات العربية العالية التابعة لجامعة الدول العربية، فحصل منه على دبلوم عال في شعبة اللغة والآداب.

وفي هذه الفترة نفسها كان التحاقه بقسم الدراسات العليا في شعبة علوم القرآن والسنة من كلية أصول الدين، فأتم سنواتها الثلاث بنجاح عام 1960م على الرغم من صعوبة الامتحانات التي لم يثبت لها أحد سواه بعد السنة الأولى. ومن ثم شرع في إعداد أطروحته للدكتوراه عن «الزكاة وأثرها في حل المشاكل الاجتماعية» التي كان مقرراً أن ينتهي منها خلال سنتين، إلا أن أقداراً غالبية حالت دون رغبته، وجاء عهد الأحداث الرهيبة في مصر فأخرت موعد حصوله على الدكتوراه إلى ما بعد ثلاثة عشر عاماً، حيث حصل عليها عام 1973م بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى من الكلية نفسها.

شخصيات أثرت في حياته:

تأثر الشيخ القرضاوي في مستهل حياته بمدرسة الإخوان وشخصياتها البارزة. وكانت أعظم شخصية تأثر بها في حياته الفكرية والروحية هي شخصية الإمام الشهيد «حسن البنا»، مؤسس كبرى الحركات الإسلامية في القرن العشرين...

يقول الشيخ القرضاوي عن إمامه: «إن أعظم الشخصيات أثرًا في حياتي الفكرية والروحية هي شخصية الشهيد العظيم حسن البنا، مؤسس كبرى الحركات الإسلامية الحديثة... هذا مع أنني لم أعيشه كما عايشه غيري، فقد كان رضي الله عنه في القاهرة، وكنت في طنطا طالبًا، ولكنني استمعت إليه في طنطا عدة مرات، ورحلت وراءه إلى بعض البلاد لأراه وأستمع إليه، كما قرأت تقريبًا كل ما كتبه من رسائل ومقالات»..

ويصف الشيخ انطباعاته عن الإمام البنا فيقول: «كان رحمه الله في حديثه إذا تحدث، وفي كتاباته إذا كتب، يمثل السهل الممتنع، ويؤثر في العقل والقلب معًا، فهو معلم وواعظ بالفطرة الموهوبة والدربة المكتسبة جميعًا. أذكر أنني استمعت إليه وأنا طالب في السنة الأولى من معهد طنطا الابتدائي يتحدث بمناسبة الهجرة النبوية، فوعيت كلامه على صغر سني، وأكاد أحفظه من ذلك اليوم. كان واسع المعرفة، غزير المادة، أخرج مجلة «الشهاب» الشهرية، وكان يحرر جل أبوابها بقلمه، فهو يكتب في التفسير والعقائد ومصطلح الحديث والتاريخ الإسلامي، وفي أصول الإسلام كنظام اجتماعي.. كل ذلك بإجادة وأصالة رغم أنه لم يكن متفرغًا للعلم والبحث، فقد كانت الدعوة ومتطلباتها تستغرق معظم وقته. ولذلك كان من وصاياه: «الواجبات أكثر من الأوقات، فعاون غيرك على الانتفاع بوقته»..

لقد تأثر القرضاوي بالإمام البنا كاتبًا ومحدثًا وعالمًا وواعظًا وبلغيًا، ومربيًا للشباب والأجيال.. وكما تأثر بإمام الدعوة وقائدها فقد تأثر أيضًا بعدد من علماء الإخوان المسلمين أمثال: الشيخ محمد الغزالي، والشيخ البهي الخولي، وكان تأثره بهذه المدرسة أقوى من تأثره بالدراسة الرسمية في

الأزهر ومشايخه، على الرغم مما له ولهم من فضل لا يُنكر في تكوينه العلمي. ومن الشخصيات الأزهرية التي كان لها أثر في نفسه: المغفور له الدكتور محمد عبد الله دراز؛ لما كان يتمتع به من أصالة تفكير، وفصاحة بيان، وقوة في الخلق والدين. وكذلك الشيخ محمود شلتوت، والدكتور عبد الحليم محمود..

وتأثر أيضاً بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، والشيخ محمد رشيد رضا..

والذي يستمع إلى محاضرات الدكتور القرضاوي أو يطلع على مؤلفاته العديدة يرى أن إعجابه برواد الفكر الإسلامي من هذه الشخصيات الإسلامية الذين تركوا أثراً في توجيهه.. لم يجعله يُقلد أحداً منهم أو يتقمص شخصيته، ولكنه انتفع بمختلف المدارس الفكرية التي عرفتها حضارة الإسلام.. وجاءت كتاباته تحمل روح التنقيب والاجتهاد والإبداع.

ويجدر بنا ونحن نتكلم عن المؤثرات في تكوين شخصية الدكتور القرضاوي ألا نغفل المؤثرات الروحية والتربوية التي أفاد منها في نشأته الأولى في القرية الهادئة الوداعة والبيت الكريم الذي رعاه ورباه على الخلق الإسلامي الأصيل.

الأحداث التي عاصرها:

عاصر الدكتور القرضاوي أحداثاً في غاية العظم والأهمية.. عاصر الحرب العالمية الثانية، والاستعمار الإنجليزي لمصر، وحرب القناة، وحرب فلسطين ووقوع النكبة الأولى 1948م، وقيام دولة إسرائيل، ووقوع نكبة

1967م التي احتلت إسرائيل فيها القنطرة والقنيطرة، وسقطت القدس والمسجد الأقصى في يد اليهود..

ولم يكن القرضاوي في عزلة عن هذه الأحداث، فقد شارك فيها منذ كان طالباً في الابتدائي- بقلبه وأعصابه وعلمه ولسانه.. نظم القصائد، وألقى الخطب، وحرّض جماهير الطلاب على المظاهرات ضد الظلم والظالمين، وكان مسئولاً عن طلاب الحركة الإسلامية بكلية أصول الدين وكلّيات الأزهر الأخرى، وكان عضواً في الهيئة المسئولة عن كتائب الأزهر في حرب القناة ضد الإنجليز. وطاف القطر المصري من أسوان إلى رشيد والإسكندرية داعياً إلى الله، وطاف عدداً من البلدان العربية والإسلامية لنفس الغاية.

ولعل الشيء الذي جعله على صلة عميقة وحية ومباشرة بأحداث بلده ووطنه العربي والإسلامي هو: الاتصال المبكر بحركة الإخوان المسلمين.. فقد نقلته من جو الشعر والأدب الذي كان هوايته، إلى جو الدعوة العامة إلى الإسلام، ومن طريق الوعظ العام والتدين الفردي، إلى أفق الحركة الإيجابية الشاملة، التي تعمل على خلق تيار إسلامي عام، وتكوين جيل يفهم الإسلام فهماً صحيحاً، ويؤمن به، ويجاهد في سبيله.

وكان من ثمرات هذا الاتصال أن: صحح فهمه للإسلام ورسالته في الحياة، وواجب دعاته في هذا العصر نحو وطنهم الصغير، ووطنهم الإسلامي الكبير.. وأصبح مهتماً بأمر المسلمين جميعاً، وبقضايا الإسلام الكبرى، وبمؤامرات أعداء الإسلام، ووسائلهم في الغزو والتدمير..

وحدد هدفه من الحياة ورسالته فيها، وهي الدعوة إلى الإسلام كله عقيدة وشرعية ودينًا ودولة وحضارة وأمة.

وقد أدّى انتماؤه إلى دعوة الإخوان المسلمين وجهاده في سبيل الإسلام إلى اعتقاله عدة مرات: أولها: اعتقاله سنة 1949م نحو عشرة أشهر في عهد الملك فاروق، وقد كان طالبًا في السنة الخامسة الثانوية. وقد ضاع عليه امتحان الدور الأول للشهادة الثانوية، ثم شاء الله أن يدرك الدور الثاني بعد الإفراج عنه عقب سقوط وزارة إبراهيم عبد الهادي، وكان من إكرام الله وتعويضه له أن حصل على الترتيب الثاني بين الناجحين في الدورين من طلاب المعاهد الثانوية الأزهرية على مستوى القطر المصري. وكان اعتقاله الثاني في 2 يناير 1954م، ولمدة شهرين ونصف في عهد الثورة، ثم في نوفمبر 1954م ولمدة عشرين شهرًا تقريبًا، ثم في يونيو 1962م نحو خمسين يومًا قضاها في سجن انفرادي في مبنى مخابرات الثورة، وكان بجواره في الاعتقال صديق عمره ورفيقه في الدعوة والجهاد الداعية الكريم الدكتور أحمد العسال.

وبعد أن خرج القرضاوي من المعتقل سنة 1956م، حرمت عليه حكومة الثورة أن يتصل بال جماهير عن طريق الخطابة والتدريس، فلم يجد أمامه إلا القلم يخاطب به الناس، في صورة مقالات في مجلة منبر الإسلام ومجلة الأزهر، وفي صورة كتب كان أولها كتاب «الحلال والحرام في الإسلام»، وتلته مجموعات من الكتب والأبحاث في مجالات شتى.. ودفعه هذا إلى التفرغ للبحث العلمي والكتابة.

أعماله الرسمية:

عمل الدكتور القرضاوي سنة 1956م بمراقبة الشؤون الدينية بوزارة الأوقاف المصرية بالخطابة والتدريس في المساجد، ثم أصبح مشرفاً على معهد الأئمة. وفي سنة 1959م نقل إلى الإدارة العامة للثقافة الإسلامية بالأزهر الشريف للإشراف على مطبوعاتها والعمل بالمكتب الفني لإدارة الدعوة والإرشاد، فشارك في توجيه المكتب الفني، وتولي الردود على الشبهات التي تثيرها الصحافة وغيرها حول الإسلام.

وفي سنة 1961م أعير إلى دولة قطر، عميداً لمعهدا الديني الثانوي، فعمل على تطويره وإرسائه على أمتن القواعد والأسس العلمية والتربوية وأحدثها، حتى أصبح المعهد مثلاً يحتذى في المنطقة كلها، وأصبح مناراً يؤمه طلبة العلم من شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي..

وفي سنة 1973م أنشئت كلية التربية نواة لجامعة قطر، فنقل إليها ليؤسس قسم الدراسات الإسلامية ويرأسه.

وفي سنة 1977م تولى تأسيس وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، كما أصبح المدير المؤسس لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، إضافة إلى عمله كعميد للكلية.

نشاطه في خدمة الدعوة:

الدكتور القرضاوي علّم بارز بين رجال الفكر الإسلامي المعاصر، ورائد من رواد الحركة الإسلامية وورعاتها، أمضى أيامه ولياليه مجاهداً من أجل الإسلام.. امتاز بدقة العالم وإشراقة الأديب وحرارة الداعية، فهو من

المفكرين الإسلاميين الذين يمتازون بالاعتدال، ويجمعون بين محكمات الشرع ومتطلبات العصر..

شارك في العمل الإسلامي.. خطيباً ومحاضراً.. كاتباً ومؤلفاً.. داعية ومربياً.. مفكراً ومخططاً.. واتخذ نشاطه لخدمة الإسلام صوراً عدة، منها:

1- في المجال الجامعي:

حيث يعمل أستاذاً وعميداً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وذلك بعد أن عمل اثنتي عشرة سنة مديراً لمعهد قطر الديني الثانوي، فأرسى بنيانه على قواعد جعلته نسيج وحده، وأصبح مثلاً يحتذى في الجمع بين القديم والحديث، وتقريب علوم الدين والعربية وتيسيرهما، إلى جوار علوم العصر، بحيث لا يحتاج إلى سنين أكثر من سني التعليم العام. ويعمل الدكتور القرضاوي مديراً لمركز بحوث السنة والسيرة النبوية بجامعة قطر، إضافة إلى عمله كعميد لكلية الشريعة.

2- في الميدان الشعبي:

عن طريق الخطابة والوعظ وإلقاء الدروس في المساجد.. فالشيخ القرضاوي كان يخطب الجمعة في عدد من مساجد قطر، ولا زال مستمراً على هذا في مسجد عمر بن الخطاب.. كما أن له درس الإثنين في المسجد نفسه بعد صلاة العشاء من كل أسبوع.. وهذا الشيخ الذي بدأت حياته العلمية في كُتّاب القرآن.. استمرت خطاه في الاتجاه نفسه، فهو لا يفارق سبيل القرآن الذي حمل أمانته منذ الطفولة.. وكم يشعر الناس بالمتعة والخشوع بصلاة التراويح وراءه في شهر رمضان المبارك، حيث يقرأ جزءاً من القرآن كل

ليلة، ويُعطي درساً حول هذه القراءة.

3- في المجال الإعلامي:

عن طريق البرامج التي يقدمها في الإذاعة والتلفزيون، حيث يقوم بالفتوى والرد على أسئلة المواطنين في قطر ومنطقة الخليج، منذ إنشاء إذاعة قطر وتلفزيونها إلى اليوم، في برنامجين أسبوعيين ثابتين، وهما يمثلان مدرسة فكرية وفقهية لها تلاميذها وجمهورها الذي يترقبها كل جمعة على طول أرض الخليج والجزيرة وعرضها. هذا عدا برامج توجيهية أخرى يقدمها بين حين وآخر، وبخاصة في شهر رمضان.

4- المحاضرات:

التي يُدعى لإلقائها بتكليف من الجامعات والجمعيات والأندية والمؤسسات الثقافية وغيرها في بلاد العرب والإسلام، وأحياناً خارج العالم الإسلامي.. ولقد زار عدداً كبيراً من البلدان والتجمعات الإسلامية في آسيا وأفريقيا، والجاليات الإسلامية في أوروبا وأمريكا وكندا وبلاد الشرق الأقصى، وكان له فيها جميعاً محاضرات وندوات ولقاءات تركت أثراً طيباً، ولا سيما بين الشباب.

5- المشاركة في المؤتمرات والندوات:

الدكتور القرضاوي شخصية بارزة في مجال الدعوة والفكر الإسلامي، وآراؤه تتمتع باحترام رجال الفكر الإسلامي.. وقَلَّمَا تخلو من حضوره الندوات العالمية التي تُبحث فيها قضايا الإسلام والمسلمين.. لقد شارك في عدد من المؤتمرات والندوات الإسلامية والعلمية، نذكر منها على سبيل

المثال لا الحصر:

ندوة «التشريع الإسلامي» في ليبيا، «والمؤتمر العالمي الأول للاقتصاد الإسلامي» في مكة المكرمة، ومؤتمر «الفقه الإسلامي» بالرياض، ومؤتمر «الدعوة والدعاة» بالمدينة المنورة، وندوة «الإسلام والمستشرقون»، و«المهرجان التعليمي» لندوة العلماء بالهند، ومؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، ومؤتمرات السيرة والسنة بالدوحة والقاهرة وغيرها، ومؤتمرات المصارف الإسلامية في دبي، وفي الكويت، وفي استانبول، وغيرها، وندوة «الاقتصاد الإسلامي في مجال التطبيق» في أبو ظبي، وندوات المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت: «الإنجاب في ضوء الإسلام»، و«بداية الحياة ونهايتها»، وغيرها، وملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر، ومؤتمرات المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، ومؤتمرات اتحاد الطلاب المسلمين في الولايات المتحدة وكندا وغيرها..

وقدم لهذه المؤتمرات والندوات بحوثاً علمية كانت موضع تقدير المؤتمرين.

6- نشر المقالات والبحوث:

حيث قام بنشر المقالات والبحوث في مختلف المجالات الإسلامية والعربية، نذكر منها: «الأزهر» و«نور الإسلام» و«منبر الإسلام» و«الدعوة» و«لواء الإسلام» في مصر، و«حضارة الإسلام» بدمشق، و«الوعي الإسلامي» و«المجتمع» و«العربي» بالكويت، و«الشهاب» ببيروت، و«البعث الإسلامي» بالهند، و«الدعوة» بالرياض، و«الأمة»

و«الدوحة» في قطر، و«منار الإسلام» في أبو ظبي، و«المسلم المعاصر» في لبنان، وغيرها. كما نشرت له الصحف اليومية والأسبوعية والشهرية في كثير من البلدان العربية والإسلامية مقابلات أجاب فيها عن كثير من الأسئلة التي تهم القراء في القضايا الإسلامية.

7- تأليف الكتب في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية.

8- الدعوة لتأسيس هيئة خيرية إسلامية عالمية لرعاية ودعم المسلمين في العالم:

فالدكتور القرضاوي من أصحاب الهمم العالية في الميدان الإسلامي، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، واستجابوا لنداء الواجب الإسلامي والإنساني.. ولقد تمثلت فكرته في إنشاء هيئة خيرية إسلامية عالمية، مهمتها مد يد العون للمسلمين في العالم كله، ماديًا ومعنويًا؛ إنقاذًا للمسلمين من حملات التبشير والتنصير، وتخليصًا لهم من براثن الجوع والفقر والمرض، تطبيقًا لما يُمليه علينا ديننا الإسلامي..

وانعقد في الكويت الاجتماع التحضيري الأول لمؤتمر الهيئة الخيرية الإسلامية الذي شارك فيه 153 داعية من رجال الفكر والعلم من خمسين قطرًا من العالم الإسلامي وأوروبا وأمريكا واليابان، استجابةً لنداء فضيلة الدكتور القرضاوي الذي دعا إلى تكوين هذه الهيئة؛ لتقف أمام التحديات والتيارات الكنسية واليهودية التي تتخذ من حاجة المسلمين ذريعةً إلى تحريف عقيدتهم وصرفهم عن الإسلام..

لقد ضرب الشيخ القرضاوي أروع مثل في جهده وبذله، فاجتمعت عليه

القلوب، والتقت عليه الأيدي، وهوت إليه الأفئدة ملبية نداءه ودعوته، وكان من ثمرة عمله المبارك وما ألقاه الله في قلوب المسلمين له من حب وتكريم هذه الهيئة التي كانت حلمًا فأصبحت حقيقة..

إن كلمته الطيبة التي خرجت من قلب مخلص يتقد بحرارة الإيمان، ويتحرق حسرة على ضياع وشتات المسلمين.. قد نفذت إلى قلوب المخلصين من رجال الإسلام؛ فهبوا يلبون النداء، ويترجمون الفكرة الواعية إلى عمل جاد.

9- القيام بعدد من الأعمال الأخرى:

فهو عضو المجلس الأعلى للتربية في قطر، ونائب رئيس الهيئة العليا للفتوى والرقابة الشرعية للاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، ورئيس هيئة الرقابة الشرعية لمصرف قطر الإسلامي، ولمصرف فيصل الإسلامي بالبحرين، وعضو الهيئة لدار المال الإسلامي، وعضو مجلس الأمناء لمنظمة الدعوة الإسلامية في أفريقيا ومركزها الخرطوم، ومستشار شرعي لعدد من المؤسسات المالية والاقتصادية التي تتعامل وفق أحكام الشريعة، وعضو المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي.

نشاطه في تأليف الكتب:

ألّف الدكتور القرضاوي مجموعةً كبيرةً من الكتب في مختلف جوانب الدراسات الإسلامية، أصيلة في بابها، تلقاها أهل العلم في العالم الإسلامي بالقبول والثناء.. طبع أكثرها عدة مرات، وترجم عدد منها إلى جملة من لغات العالم الإسلامي، وفيما يلي بيان بتلك الكتب:

- 1- «قطوف دانية من الكتاب والسنة»، عام 1951م، وقد طبع مرتين.
 - 2- «الحلال والحرام في الإسلام»، عام 1960م، وقد ألفه بتكليف من مشيخة الأزهر، وقد طبع الكتاب تسع عشرة مرة بالعربية، كما ترجم إلى التركية والأوردية والأندونيسية والماليزية والإنجليزية. وقال عنه الأستاذ مصطفى الزرقا: «إن اقتناؤه واجب على كل أسرة مسلمة».
 - 3- «العبادة في الإسلام»، عام 1961م، وطبع عدة مرات.
 - 4- «الناس والحق»، عام 1966م، طبع عدة مرات، وترجم إلى التركية والفارسية.
 - 5- «مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام»، عام 1967م، طبع عدة مرات، وترجم إلى الأوردية والماليزية والتركية والفارسية.
 - 6- «الإيمان والحياة»، طبع عدة مرات، وترجم إلى الأوردية والأندونيسية والتركية والفارسية.
 - 7- «فقه الزكاة»: في جزئين كبيرين، عام 1969م، وهو دراسة مقارنة لأحكام الزكاة وأثارها في إصلاح المجتمع في ضوء القرآن والسنة. وقد شهد المختصون أنه لم يؤلف مثله في موضوعه في التراث الإسلامي..
- قال عنه العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله: «إنه كتاب هذا القرن في الفقه الإسلامي»، نقله عنه الأستاذ خليل الحامدي..
- وقال عنه الأستاذ محمد المبارك في مقدمة كتابه عن «الاقتصاد في نظام

الإسلام»: «هو موسوعة فقهية في الزكاة، استوعبت مسائلها القديمة والحديثة وأحكامها النصية والاجتهادية على جميع المذاهب المعروفة المدونة.. مع نظرات تحليلية عميقة، وهو عمل تنوء بمثله المجامع الفقهية، ويعتبر حدثاً مهماً في التأليف الفقهي. وقد ترجم إلى الأوردية، والتركية، والأندونيسية، والإنجليزية.

8- «شريعة الإسلام: خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان»، طبع عام 1973م.

9- «الخصائص العامة للإسلام»، طبع عام 1977م.

10- «درس النكبة الثانية»، ألف عام 1969م.

11- «عالم وطاغية» مسرحية تاريخية، عام 1966م، وترجمت إلى التركية.

12- «فتاوى معاصرة».

13- «غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، عام 1977م.

14- «الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا»، عام 1971م، وقد ترجم إلى التركية.

15- «الحل الإسلامي فريضة وضرورة»، عام 1974م.

16- «الخصائص العامة للإسلام».

17- «الصبر في القرآن».

18- «ثقافة الداعية»، ترجم إلى الأوردية والفارسية.

- 19- «التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا».
- 20- «وجود الله».
- 21- «حقيقة التوحيد»، ترجم إلى اللغة السواحلية.
- 22- «نساء مؤمنات».
- 23- «الدين في عصر العلم».
- 24- «ظاهرة الغلو في التكفير».
- 25- «الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف» -الكتاب الثاني لمجلة «الأمة» القطرية، وقد ترجم إلى الأوردية وبعض اللغات الهندية.
- 26- «الرسول والعلم».
- 27- «الوقت في حياة المسلم».
- 28- «بيع المرابحة للأمر بالشراء».
- 29- «رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد».
- 30- «جيل النصر المنشود».
- 31- «الاجتهاد في الشريعة الإسلامية».
- 32- «أين الخل؟».
- 33- «عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية».
- 34- «الفقه الإسلامي بين الأصالة والتجديد».

35- «الإسلام والعلمانية وجهًا لوجه».

كتب بالاشتراك:

شارك في تأليف أكثر من عشرين كتابًا مدرسيًا في: الفقه والتوحيد والتفسير والحديث والتربية والبحوث الإسلامية والمجتمع الإسلامي، وفلسفة الأخلاق، وقد قررت وزارة التربية والتعليم في دولة قطر تلك الكتب في مدارسها المختلفة.

نشاطه في الشعر:

الدكتور القرضاوي أديب معاصر، وشاعر إسلامي من شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث الذين عايشوا الحركة الإسلامية في صميم جهادها وتفاعلوا معها، ورافقوها في طريقها الطويل المحفوف بالمكاره والمحن..

شاعر نظم قصائد وأناشيد ردها دعاة الإسلام، وتربّت عليها الأجيال.. شدّت بها الألسن، وهفّت إليها الأنفس، فأيقظت القلوب بالإيمان، وأشعلت الأرواح بالجهاد، وغدت نشيدًا للشباب المعتصم بالله، الحامل لواء الحق، السائر على درب الكفاح.

شاعريته وميزات شعره:

نشأ القرضاوي منذ صغره مفطورًا على الفصاحة، وشبّ على حب العربية وآدابها، وعُرف بين الناس بقدرة فائقة في علومها، وإنشاء الشعر في عهد مبكر، فقد اشتهر به منذ كان طالبًا بالمعاهد الأزهرية..

وكانت أول محاولة للتأليف عنده «مسرحية شعرية» عنوانها «يوسف

«الصدق»، ترسم فيها خطى أمير الشعراء أحمد شوقي في «مجنون ليلي» و«مصرع كليوباترا». وكان وقتها طالباً بالسنة الأولى من المرحلة الثانوية.

ولا شك أن نشأته الريفية ودراسته في الأزهر وارتباطه بالحركة الإسلامية في مصر قد مكّن للثقافة العربية الأصيلة في نفسه.. ومن أجل ذلك جاء شعره نقي العبارة، جميل الصورة، فصيح الأسلوب، عذب البيان، قوي النسيج.. ينبض بحرارة الإيمان، وأصاله الفكر، وحرقة العمل..

شعره شعر صادق منبثق من الواقع.. فكرة، وتجربة، وأسلوباً.. شعر يحمل معاناة إنسانية من خلال المفاهيم والتصورات الإسلامية.. شعر يتحدث عن آلام الناس، ويدعو إلى إزالة المظالم، وإصلاح الفساد.. شعر يتحرك في إطار الإسلام، ويلتزم المنهج الإسلامي.. إنه شعر دعوة في كل قصيدة من قصائده، بل وفي كل بيت من أبيات القصيدة.. إنه زاد من زاد الدعاة، وأداة تحمل من الطاقات كل عجب..

ومن ميزات شعره: السلاسة والتدفق، والصدق في الإحساس والتصوير، والأسلوب القصصي، والالتزام بعقيدة التوحيد وبالفكر الإسلامي الذي يبدو الاعتزاز به والانتماء إليه في كل قصيدة من قصائده.. فهو يعتقد أن الإسلام حيثما حلّ ملازم للتحرر والتحرير.. يحرر الأرض من العدوان، والإنسان من الطغيان، وهو السبيل الوحيد لتحرير الأرض المغتصبة والأوطان المسلوقة.

والقرضاوي شاعر عبقرى البيان، صادق العاطفة والإحساس.. ذو خيال خصب، وموهبة عميقة، وأداء جميل، وتوفيق كامل ومؤثر في رسم الصور

والمشاعر.. تبدو في شعره سلاسة العرض، وفصاحة الأسلوب، وطول النفس.. وتتجلى فيه روح صاحبه: رجل العلم والفكر والدعوة..

وقد اشتهر بقصائده الطوال الفريدة من نوعها موضوعاً وحجماً، مما يدل على طبع سخي، وشاعرية فياضة، مما يجعله مؤهلاً للقصة والملحمة.

الأغراض الشعرية في شعره:

للقرضاوي شعر في معظم أغراض الشعر ومجالاته:

- له في التأمل: كقصيدة: السعادة، وقصيدة مناجاة القبر التي نظمها في العقد الثاني من عمره، ومطلعها:

حنانيك ماذا في حناياك يا قبر؟ بربك خير قبل أن يُفدَحَ الخَبْرُ!!
فيا ليت شعري: ما تكن ليوسفًا؟ أروحُ وريحانُ أم النار والجمرُ؟!

- وله في الوطنية والحماسة: مثل قصيدته الشهيرة في توديع كتائب الأزهر إلى القناة؛ للاشتراك في المعارك التي قادها الشباب المسلم في تلك الأيام ضد الإنجليز المحتلين، وكانت هذه القصيدة بعنوان «يا أزهري الخير» نظمها سنة 1951م، وقال فيها:

دع المدادَ وسطرَ بالدمِّ القاني! وأسكتِ الفمَ وأخطبُ بالفمِ الثاني!
فم المدافع في صدر العُدّة له من الفصاحة ما يُزري بسُحبانٍ

ومنها:

يا أزهري الخير قدّها اليوم عاصفة فإتما أنت من نورٍ ونيران
هذا شبابك للميدان مُنطلق فهل نرى في الشيوخ اليوم

«كاش» ان ١٩٧٧

- وله في المناسبات الإسلامية: كقصيدته «النونية في ليلة القدر» التي

ألقاها في معتقل الطور في رمضان 1369 هـ. وقصيدته «الرائية» في ذكرى
الهجرة سنة 1370 هـ، والتي مطلعها:

سَهَرْتُ لَيْلِي حَتَّى مَلَنِي السَّهَرُ وَشَفَنِي ذِكْرُهَا وَالصَّبُّ يَدْكُرُ

وقصيدته «النونية» الشهيرة في ذكرى المولد سنة 1370 هـ، وقد نشرت
مجلة «الدعوة» أجزاء منها، وسارت بها الركبان، ومنها:

قَالُوا: إِلَى السَّجْنِ، قَلْنَا: شُعْبَةٌ لِيَجْمَعُونَا بِهَا فِي اللَّهِ إِخْوَانَا
قَالُوا: إِلَى الطُّورِ، قَلْنَا: الطُّورُ فِيهِ نَقَرَّرُ مَا يَخْشَاهُ أَعْدَانَا
فَهُوَ الْمُصَلَّى نَرْبِّي فِيهِ أَنْفُسَنَا وَهُوَ الْمَصِيفُ نَقْوِي فِيهِ أَبْدَانَا

وقصيدته «الرائية» بمناسبة مرور عشرين عامًا على الدعوة، نظمها عام
1948م، ومنها:

هَلْ هَذِهِ شُعْبٌ أَمْ هَذِهِ شُعْلٌ تَكْوِي وَتَهْدِي فِيهَا النَّارُ وَالنُّورُ؟
تَكْوِي أَنَاسِيَّ أَعْيَا الطِّبِّ دَاوُهُم وَالْكِيَّ آخِرَ مَا تَأْتِي الْعَقَاقِيرُ
وَتُرْسِلُ النُّورَ يَهْدِي مَنْ لَهُ بَصَرٌ وَالْعُمَى تُنْكِرُ وَالْخَفَاشُ مَذْعُورُ
ومنها:

يَا دَعْوَةَ الْحَقِّ قَصِي مَا لَقِيتُ فَكُمْ يُؤَدِّي الْهُدَى وَيُعَانُ الْبَاطِلُ الْبُورُ
وَكَمْ زَعِيمٌ عَدَا نَحْوِي لِيَنْطَحِنِي فَعَادَ مِنْ صَخْرَتِي وَالْقَرْنُ مَكْسُورُ

ومنها قوله الذي يصف فيه شباب الدعوة:

لِلْغَرْبِ هُمْ أَجَلٌ، لِلشَّرْقِ هُمْ أَمَلٌ لِلدِّينِ نَصْرٌ وَلِلْأَوْطَانِ تَحْرِيرُ
ظَنُّوا وَرَاءَ اللَّحَى وَهَنَا وَدُرُوشَةً مَهَلًا فَخَلَفَ اللَّحَى أَسَدٌ مَغَاوِيرُ

وقصيدته «الرائية» التي قبلت بمناسبة مؤتمر طلاب الأزهر الذي عقد

بساحة الأزهر، بشأن مطالب الأزهريين في سنة 1952م أوائل قيام الثورة أيام الرئيس محمد نجيب، ومنها:

صَبْرُنَا إِلَى أَنْ مَلَّ مِنْ صَبْرِنَا الصَّبْرُ وَقَلْنَا: غَدًا أَوْ بَعْدَهُ يَنْجَلِي الْأَمْرُ
فَكَانَ غَدًا عَامًّا، وَلَوْ مُدَّ حَبْلُهُ فَقَدْ يَنْطَوِي فِي جَوْفِ هَذَا الْعَدِّ الدَّهْرُ
وَقَلْنَا: عَسَى أَنْ يُدْرِكَ الْحَقُّ أَهْلَهُ فَصَاحَتْ «عَسَى» مِنْ «لَا» وَ«لَا» طَعْمُهَا
وَمَاذَا عَلَيْنَا بَعْدَ أَنْ ثَارَ مَرْجَلُ مِنَ الْغَيْظِ وَالْآلَامِ يَغْلِي بِهِ الصَّدْرُ
سَدَدْنَا بِطُولِ الصَّبْرِ مَنَا صِمَامَةً فَزَادَتْ عَلَيْهِ النَّارُ، فَانْفَجَرَ الْقِدْرُ!

ومنها:

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ عَلَى إِذَا ارْتَفَعَ الْعَصْفُورُ وَانْخَفَضَ
الْأَسْمَاءُ النَّسْرُ

- وله الشعر القصصي: كما في قصيدته «ثورة لاجئ»، التي نظمها عام 1962م. وهي موجودة كاملة في هذا الديوان.

- وله الشعر المسرحي: كما في مسرحية «يوسف الصديق» التي ألفها ونشرها في عهد مبكر من حياته. وهي رواية تمثل ما جرى لسيدنا يوسف سسس مع أبيه وإخوته، ثم مع امرأة العزيز، ثم مع الملك من البداية إلى النهاية. وقد نظم في إهدائها الأبيات التالية:

إِلَى مَنْ رَمَتْهُ الْعَادِيَاتُ بِسَهْمِهَا فَبَاتَ يُعَانِي الضَّرَّ إِذْ عَضَّ الدَّهْرُ
إِلَى مَنْ طَوَاهُ الْعَمْرُ وَهُوَ مُعَذَّبٌ لِيَالِيهِ سَوْدَاءُ، وَأَيَامُهُ غَبَرُ
إِلَى مَنْ رَمَاهُ الْهَمُّ فِي جُبِّ حَيْرَةٍ وَأَدْخَلَ سَجْنَ الْبُؤْسِ لَيْسَ لَهُ وَزْرُ
لَمَنْ غَالِبَ الْأَيَّامِ حَتَّى غَلَبْنَاهُ وَظَنَّ مُحَالًا أَنْ يَكُونَ لَهُ نَصْرُ
إِلَى مَنْ جَفَاهُ جِبُّهُ وَهُوَ هَائِمٌ فَظَلَّ كَنِيبًا لَا يَبْشُ لَهُ ثَغْرُ

وبات مهيض القلب، في عينه وفي صدره جمر، وفي فمه صبر
إلى ذلك الصب الذي ظل عمره ^{قده} وساعته شهر وليلته دهر
إلى هؤلاء البائسين ليعلموا بأن مجيء المدّ إذ ينزل الجزر
إلى هؤلاء الأشقياء ليؤقتوا بأن ظلام البؤس يخلفه فجر
إليهم كتاباً من أخ ضيم مثلهم عسى أن تعزيهم بشائره الغرّ
إليهم كتاباً من غريم زمانه فسلسلة ملح، وسكره مرّ
فإن وجدوا فيه عزاء وسلوة فلي منهم شكر ومن بارئي أجر

وقد اطلعت على نسخة من هذه المسرحية، ووجدت على غلافها صورة
للشاعر وهو طالب بالسنة الأولى من المرحلة الثانوية، وتحت الصورة هذه
الأبيات:

أصوّر الأجسام والأبدان هلاً تصوّر حكمتي وبياني؟
أتصوّر وجه الرجال وتتركّن تصوير ما بهموم من العرفان؟
المرء ليس بوجهه أو جسمه لكن بفكرٍ ثاقبٍ ولسانٍ
لو كان قدر المرء جسمًا لا حجًا لسما عليه الثور بالجسمان

وكان الشاعر ينظم ويردد معنى قول الرسول الكريم: «إن الله لا ينظر إلى
صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

- وله الشعر الملحمي: كما في قصيدته «النونية» التي قدمتها في هذا
الديوان. وكان الشاعر قد نظمها في السجن الحربي سنة 1955م؛ لتسجل
أحداث هذا السجن الرهيب.

- وله في الرثاء: كقصيدته «دمعة وفاء» التي نظمها سنة 1950م في

رثاء الأخ المجاهد زكي الدين أبو طه، ومنها:

أبكي فتى إن ثار للحق انتضى عزمًا يفلّ الصّارم المسلولا
أبكي فتى كان الجميع يعدّه رجلاً، وإن كان الرجال قليلاً

- وله في التوبة والابتهال: كقصيدته «ابتهال» التي نظمها سنة 1962م،

ومنها:

يا من له تغنو الوجوه وتخضع ولأمره كلّ الخلائق تخضع
أعنو إليكم بجمهة لم أحنها إلا لوجهك ساجداً أتضرع

- وله مجموعة من الأناشيد: كنشيد «مسلمون»، ونشيد «العودة»، ونشيد

«فتى القرآن».

- وله في غير ذلك من الأغراض، مما ذهب أكثره، ولم يبق إلا أقله. ولعل

الغرض الوحيد الذي لم يطرقه بشعره هو: المديح، ولعل سبب ذلك واضح عند كل من عرف الشاعر وخالطه. فهو بطبيعته يكره الإطراء والملق، والتعلق بالأشخاص.

بين الفقه والشعر:

العلاقة بين الفقه والشعر قديمة، قد تغرق في قدمها إلى القرن الهجري الأول عندما أخذ بعض الشعراء يستعيرون مصطلحات الفقه وقضاياهم في أشعارهم، وعندما أخذ بعض الفقهاء يصوغون بعض قضاياهم بالشعر، أو يعبرون عن الجوانب الوجدانية في ذواتهم بالشعر، ثم تطور ذلك كله إلى أن يتخذ بعض الفقهاء من الشعر وسيلة للدعوة إلى الاستقامة ومكارم الأخلاق.

وبهذا التفاعل بين الفقه والشعر ظهر ما يُسمى لدى دارسي الأدب

بـ«الفقهاء الشعراء»، واشتهر من هؤلاء عدد غير قليل، حتى وجدنا من يُؤلف كتبًا عن الفقهاء الشعراء.

ولعل أشهر الفقهاء الشعراء هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب المشهور. وللشافعي شعر في غاية الجودة، وإن كان من الطبيعي أن يكون هذا الشعر عن الجانب الأخلاقي في معظمه، إلا أنه لم يخل من الجانب الوجداني.

وكان الشافعي رضي الله عنه يحس أن لديه طاقات شعرية عظيمة، ولكنه كان يكتبها، وينشغل عنها أو يشغله عنها الاشتغال بالفقه وقضاياها، كان كلما هزه الشعر وحاول أن يكتبه، يردعه ويزجره؛ لا اعتقاده أن الفقه والشعر لا يصلح أن يجتمعا، وذلك لما يراه من خوض الشعراء في كل موضوع موافق للفقه أم مخالف، وما يسمعه من هيام الشعراء في وديان لا يقرها الشرع ولا يرتضيها الفقه.. نحس ذلك في قوله:

ولولا الشعر بالعلماء يُزري لكنتُ اليوم أشعر من لبيد

وانظر إلى سيطرة الفقه على روح الشافعي، فهو قد فضّل بطريقة ذكية لبيد بن ربيعة العامري الصحابي على سائر أصحاب المعلقات الذين ماتوا قبل الإسلام، لذا نراه يتخذ شعره دون غيره مثلاً لتقدم الشعر وتفوقه.

ومع أن الشافعي كان يرى الشعر مُزريًا بالعلماء، فقد قال من الشعر ما يملأ ديوانًا من مئة صفحة أو يزيد، وهو قدر قد لا يجتمع لشاعر مشهور، ومع ما أحيط به بعض هذا الشعر من شلْكٍ في نسبته للإمام إلا أنه يبقى دليلًا على أن الشافعي كان شاعرًا واعدًا لو أنه لم ينصرف عن الشعر إلى الفقه.

فإذا كان الشافعي رضي الله عنه شاعرًا أخذَه الفقه من الشعر.. فإن الشيخ القرضاوي من هذه الفئة من الشعراء الذين ربحهم الفقه والفكر الإسلامي وخسرهم الشعر. ولنستمع إليه يحاور نفسه في قصيدة بعنوان «أنا والشعر» فيقول:

أريد له هجرًا فيغلبني حُبِّي وأنوي ولكن لا يُطاوغي قلبي
وكيف أطيق الصبرَ عنه وإنما أرى الشعر للوجدان كالماء للعشب
فكم شدَّ من عزم وبصرٍ من عمي وأيقظ من نوم، وذلل من صعب
لقد بغضت لي الشعرَ في مصر ثلثة يبيعونه بالمال للبغي والنهب
فكم سافحٍ قد لقَّبوه بفاتحٍ وكم مسرفٍ سمَّوه ذا الكرم
وكم فاجرٍ باغٍ مشوا في ركابه ^{الْحَبِّ} وسمَّوه ليثًا وهو أدنا من كلب!
وكم ولَّغت في حرمة الناس كفه فغَطُّوا عليها كالخضاب على
إذا كان هذا ديدن الشعر في الوري ^{الشَّبَابِ} فما هو إلا السَّمُّ في المشرب العذب

ومع أن القرضاوي ترك الشعر وتفرغ للنشاط الإسلامي في جوانبه المتعددة، إلا أنه من العلماء الذين يتذوقون الشعر ويحبونه ويحضرون ندواته.. وهو يرى أن الشعر ركيزة هامة من ركائز الدعوة الإسلامية إذا كان للحق وحده، فيقول:

وقفنك يا شعري على الحقِّ فإن لم أنل إله قلتُ لهم: حسبي!
وإن قال غرٌّ: ثروتِي، قلتُ: وإن قال لي: حزبي، أقول له:
فُعِشْ كوكبًا يا شعر يهدي إليَّ وينقُض رجماً للشياطين كالشَّهَبِ
العُلَا

ولا زال هذا الداعية المربي ينظم أناشيد إسلامية يشدو بها الشباب، وتترى عليها الأجيال.

وكان يمكن أن يكون القرضاوي شاعرًا ملء الأسماع والأبصار لو أنه
تفرغ للشعر والأدب... ولكنه ترك الشعر وتفرغ للكتابة في مجالات الدعوة
المتعددة، فقدم للأمة ذخائر من الفكر والدراسات الإسلامية العميقة — ولا سيما
الفقهية— أنارت الطريق أمام الأجيال المسلمة، والحمد لله رب العالمين.

* * *

القصائد

القصيدة الأولى: يا مرشدًا قاد بالإسلام إخوانًا.

القصيدة الثانية: مناجاة في ليلة القدر.

القصيدة الثالثة: في ذكرى المولد.

القصيدة الرابعة: دمعة وفاء.

القصيدة الخامسة: أنا والشعر.

القصيدة السادسة: الملحمة النونية.

القصيدة السابعة: السعادة.

القصيدة الثامنة: ثورة لاجئ.

القصيدة التاسعة: ابتهاج.

القصيدة العاشرة: مناجاة.

القصيدة الحادية عشرة: يا أمّتي وجب الكفاح.

القصيدة الثانية عشرة: رسالة شوق وحنين.

القصيدة الثالثة عشرة: بنت قنا.

القصيدة الرابعة عشرة: الفراق الطويل.

القصيدة الخامسة عشرة: بشرى ودعاء.

القصيدة الأولى

يا مرشدًا قاد بالإسلام إخوانًا

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية.. نظمها الشاعر عام 1947م
وكان وقتها طالبًا في المرحلة الثانوية بمعهد طنطا.

وكان من عادة الإمام حسن البنا رحمه الله أن يزور مراكز الدعوة
ويتفقدوها.. مرشدًا وموجهًا.. وفي إحدى الزيارات نظم القرضاوي هذه
القصيدة وألقاها في شعبة الإخوان بطنطا بحضور المرشد.. وبعد سماع
القصيدة قال الإمام: هذا شاعر فحل.

وتبلغ أبيات القصيدة خمسة وعشرين بيتًا.

* * *

يا مرشدًا قاد بالإسلام إخوانًا

يا مرشدًا قاد بالإسلام إخوانا وهزّ بالدعوة الغراء أوطانا
يا مرشدًا قد سرت في الشرق فقام -بعد منام طال- يقظانا
فكان للغرب والإسلام فجر ^{بحته} هدى وكان للغرب زلزالًا وبركانا
ربيت جيلًا من الفولاذ معدنه يزيده الضغط إسلامًا وإيمانًا
أردت تجديد صرح الدين إذ عبثت به السنون فهدت منه جدرانًا
فقلت تحمل أنقاضًا مكدسة وعشت تعلّي لدين الله أركانًا
ترسي الأساس على التوحيد في وترفع الصرخ بالأخلاق مُزدانًا
حتى بلغت الأعالي مصلحًا بطلًا تطلّ من فوقها كالبدر جذلانا
وثلة الهدم في السفلى مواقعهم صبّوا عليك الأذى بغيا وعدوانا
ترميك بالإفك أقلام وألسنة خانت أمانتها، يا بنس من خانا
وتنشر الزور أحزاب مُضللة تغلي صدورهمو حقًا وكفرانا
كذاك لا بد للبناء من حجر يُصيبه أو يصيب الطين أردانا⁽²⁾
ولم نلهم فهذا كله حسد والغل يُوقد في الأحشاء نيرانا
وانظر ليوسف إذ عاداه إخوته فجرّ عوه من الإيذاء ألوانا
رأوه شمسًا وهم في جنبه سُرج رأوا أباهم بهذا النور ولهانا
فدبروها بظلماء مؤامرة ليبعدوا عنه وجهًا كان فتانا
ألّفوه في الجب لم يرعوا طفولته باعوه كالشاة لم يرعوا له شانا
وعاش يوسف دهرًا يخدم امرأة عبدًا، وكان له في السجن ما كانا

(2) كان تعليق الإمام البنا حين سمع هذا البيت: يا ربّ سلم.

فإن يكن نسلُ يعقوبٍ كذا فعلوا فلا تلم نسلَ فرعونٍ وهامانا⁽³⁾!
ودع أذاهم وقل: موتوا بغيظكمو فالغربُ مولاكمو والله مولانا!
آذوك ظلمًا فلم تجزِ الأذى بأذى وكان منك جزاءُ السَّوءِ إحسانا
وكنْتَ كالنَّخلِ يُرمى بالحجارة من قومٍ فيرميهمو بالتَّمَرِ ألوانا
قد أوسعوك أكاذيبًا ملفقة وأنت أوسعتهم صفحًا وغفرانا
وقلت: ربِّ اهدهم للحقِّ واهد بهم واجعلهمو للهدى جنْدًا وأعوانا
ومَن تكن برسول الله أسوته كانت خلانقه رَوْحًا وريحانا

* * *

(3) كان تعليق الإمام الشهيد هنا: نسل يعقوب أمكر وأعدر.

القصيدة الثانية مناجاة في ليلة القدر

قصيدة نونية بمناجاة ليلة القدر.. نظمها الشاعر ليلة 27 رمضان عام 1369 هـ، 1949 م بمعتقل الطور.. وذلك عندما احتفل الإخوة المعتقلون بهذه المناسبة الطيبة، وكانت هذه القصيدة مما ألقى في هذا الحفل، وكان ختامها دعوات ومناجاة مبتهلة إلى الله سبحانه.. وكان من فضل الله تعالى أن استجاب لهذه الدعوات، وفرَّج الكرب، وسقطت وزارة الطغيان ووزارة إبراهيم عبد الهادي في ذلك الوقت. وجاء العيد حاملاً معه البشرى، وبدأ الإفراج عن المعتقلين..

والقصيدة طويلة ولم أتمكن من الحصول عليها كاملة.. وقد سجلت الأبيات التي يحفظها الشاعر وعددها ثمانية وعشرون بيتاً.

* * *

مناجاة في ليلة القدر

عشقتها فاسترقت قلبي العاني ففقتُ أعزف فيها عذب ألحاني
سمّوه شعراً وإنني لا أراه سوى آهات قلبي وإحساسات وجداني
يا ليلة زانها ربّي وشرّفها تنزيله في دُجَاهَا نور قرآن
دستور حقّ وتشريع وتربية يبقى، وإن زال هذا العالم الفاني
ربّي رجالاً مغاوير اهتدوا وغزوا إنّ الرّجولة من نور ونيران
أمسى بلالٌ به من ذلّة ملكاً وصار سلمانٌ شيئاً غير سلمان!
لله فتیان حقّ لو رأيت فتى منهم ترى ملكاً في زيّ إنسان!
فمن يُداني أبا حفص وصاحبه؟ ومن يُداني عليّاً وابن عفان؟
هذا الكتاب غدا في الشرق وأسفاً شمساً تُضيء ولكن بين عميان!
يُحاط بالطفل حرّاً من أذى وردى وفيه حرّز الوری من كل خسران!
يُتلى على ميّت في جوف مقبرة وليس يحكم في حيّ بديوان!
فكيف نرقي ومعرّج الرقيّ لنا أمسى يُجرّ عليه ذيلُ نسيان؟!
يا ليلة السلم والإسلام معذرة فالسّلم في مصر والإسلام لفظان
أين السّلام؟ أروني أين موضعه قد ضاع ضيعة يُتم بين خوّان!
أين الدساتير، فانظرها مُعلقة مثل التّمانم في أحضان صبيان!
أين الحقوق ولم نلمح لها صوراً إلا سياتراً كأذناب لثيران!
نحن النجوم تزيّن الكون طلعتنا ويهتدي بسنانا كلّ حيران
نحن النجوم فلا تعجب إذا انطلقت منّا رجومٌ أخافت كلّ شيطان
قالوا اسجّنوا واغمّروا الأقسام فجمّعونا على حُبٍّ وإيمان
ه اعتقلا

وصادروا مالنا من جهلهم ونسوا أن يحجروا رزقَ رزاقٍ ورحمان
 وأسرفوا وعَلَوْا في الأرض ^{ه اضبطه} وعَزَّتْ النَفْسُ أن تعنو لسلطان
 وعذبوا كي يُذِلُّوا أَنْفُسًا طَمَحَتْ والليثَ لن تحني الأقفاصُ هامَّته
 يا ربِّ إنَّ الطغاة استكبروا وبَغَوْا وإن تحكَّم فيه أَلْفُ سَجَّانٍ
 يا ربِّ كم يوسف فينا نقيَّ يدِ بغِي الذنابِ على قطعانِ حُمَلائِ!
 يا ربِّ كم من صبيٍّ صَفَدُوا فمضى دائؤه بالسجن والقاضي هو الجاني!
 يا ربِّ كم أسرة باتت مشرَّدة يبكي كضِفْدَعَةٍ في نابِ ثعبانِ!
 يا ربِّ رحماك، انجز ما وعدتَ به تشكو تجبَّر فرعون وهامان!
 وانصر، فنصركَ من أهل الهدى

١٠١٥

* * *

القصيدة الثالثة

في ذكرى المولد

هذه القصيدة من قصائد المناسبات الإسلامية.. نظمها الشاعر في ذكرى
المولد النبوي الشريف عام 1370هـ، 1950م في القاهرة.. وقد نُشرت في
مجلة «الدعوة» التي كانت تصدر في القاهرة.

وتبلغ أبيات القصيدة ستة وستين بيتاً.

* * *

في ذكرى المولد

هو الرسول فكن في الشَّعرِ وصُغ من القلب في ذكراه أَلحانا
 ذكُرى النبي الذي أحيا الهدى ^{جسداً} ^{أنا} بالعلم والنور شعباً كان عرياناً
 أَطْل فجر هداه والدجى عَمَّ بات الأنام وظنوا فيه عمياناً
 هذا يُصور تمثالاً ويعبده وذاك يعبد أحراراً وكهاناً
 الكون بحر عميق لا منار به لم يدر فيه بنو الإنسان شطناناً
 ويل الصَّغير! وقد صار الوري يسطو الكبير عليه غير خشياناً!
 قُدولة الرُّوم حوتٌ فاغرٌ فمه ^{مكاً} يطغى على تلکم الأسماك طغياناً
 ودولة الفرس حوتٌ مثله كشرت أنيابه للورى بغياً وعدواناً
 وحشيّة عَمّت الدنْيا أظافرُها! جهالة أصَلت الأكوانَ نيراناً!
 الليل طال! ألا فجر يُبدِّده؟ ربَّاه أرسلْ لنا فلْکاً وربَّاناً!
 هناك لاح سنا المختار مُوتلقاً يهدي إلى الله أعجاماً وعُرباناً
 يتلو كتاب هدي كان الإخاء له بدءاً وكان له التوحيد عنواناً
 لا كِبَر فالناس إخوان سواسية لا ذُلَّ، إلا لمن سَوَاك إنساناً
 يقود دعوته في اليمِّ باخرة تَقِلَّ مَنْ أمَّها شيباً وشبَّاناً
 السِّلَم رايتها، والله غايتها لم تبغِ إلا هدىً منه ورضواناً
 جرت بركبانها لا الرِّيح زلزلها ولا يَدُ الموج مهما ثار بركاناً
 وكم أراد العدا إضلالها عبثاً وحاولوا خرقها بالعنف أزماناً
 واهّا! أتُخرق والرَّحمن صانعها؟ والله حارسها من كل مَنْ خانها!؛

أم هل تضلّ سفين «بيت وحي من الله يهدي كل حيرانا؟!
 أم كيف لا تصل الشيطان باخرة⁽⁴⁾ ربّانها خير خلق الله إنسانا؟!
 تلك الرواية والهفي ممثلة في العالم اليوم في بلدانه الآنا
 إن يختلف الاسم⁽⁵⁾ فالموضوع مهمما تلّونت الأشخاص ألوانا
 فأناس قد تخذوا الأهواء آلهة إن كان قد تخذ الماضون أوثانا
 الشعب يعبد قوّادًا تضلّله كما يضلّ ذو الإفلاس صبيانا
 والحاكمون غدا الكرسي ربهم يقدّمون له الأوطان قربانا
 إن ماتت الفرس فالروسيا تمثّلها أما ستالين فهو اليوم كسرانا⁽⁶⁾
 وإن تزل دولة الرومان فالتمسوا في الإنجليز وفي الأمريك رومانا
 وإن يمت قيصر فانظر لصورته في شخص آتلي ومولاه ترومانا
 سياسة الكل أن يبقى الوري وأن يكونوا همو في البحر حيتانا
 يا خير من ربّت الأبطال بعثته⁽⁷⁾ ومن بنى بهمو للحق أركانا
 خلفت جيلا من الأصحاب سيرتهم تزوع بين الوري رُوحًا وريحانا
 كانت فتوحهمو برًا ومرحمة كانت سياستهم عدلا وإحسانا
 لم يعرفوا الدين أوراذا ومسبحة بل أشربوا الدين مخرابا وميدانا
 فقل لمن ظن أن الدين مُنفصل عن السياسة: خذ يا غرّ برهانا
 هل كان أحمد يوما جلس أو كان أصحابه في الدّير رهبانا؟
 هل كان غير كتاب الله مرجعهم^{صمعة}؟ أو كان غير رسول الله سلطانا؟

(4) بيت الإبرة: البوصلة.

(5) الهمزة في «الاسم» همزة وصل كما هو معروف.

(6) كسرانا: أي كسرى عالمنا اليوم، فالأسماء القديمة زالت والمسمّى باقى.

(7) أي: بعثة الرسول صصص ربّت الصحابة الكرام.

لا بل مضى الدّينُ دستورًا
 يرضى النّبىّ أبا بكرٍ لديّهمو^{له اتهم}
 يا سيّد الرّسلِ طبّ نفسًا بطائفية
 قادوا السّفين فما ضلّوا ولا
 أضط^{طبت} أعطوا ضريبتهم للدّين من دمهم
 أعطوا ضريبتهم صبرًا على محنٍ
 عاشوا على الحبّ أفواهاً وأفندة
 الله يعرفهم أنصارَ دعوته
 والليل يعرفهم عبّادَ هجّته
 دستورهم لا فرنسا قنّته ولا
 زعيمهم خيرُ خلق الله لا بشرٍ
 «الله أكبر»... ما زالت هتافهمو
 نشكو إلى الله أحزابًا مضلّة
 ما زال فينا ألوفٌ من أبي لهبٍ
 ما زال لابن سلولٍ شيعة كثروا
 يا ربّ إنّنا ظلمنا، فانتصر، وأنر
 نشكو إليك حكوماتٍ تكيدُ لنا
 تبيح للهو حاناتٍ وأنديّة
 فما لدورِ الهدى تبقى مغلقة؟
 يا ربّ نصرّك، فالطاغوت أشعلها
 وأصبح الدّينُ للأشخاص ميزانا
 فيعلن الجمعُ: نرضاه لدنيانا
 باعوا إلى الله أرواحًا وأبدانًا⁽⁸⁾
 وكيف لا! وقد اختاروك ربّانًا!
 والناس تزعم نصرَ الدّين مجّانًا
 صاغت بلالًا وعمّارًا وسلّمانا
 باتوا على البؤس والنّعماء
 الله يعرفهم أنصارَ دعوته
 والليل يعرفهم عبّادَ هجّته
 دستورهم لا فرنسا قنّته ولا
 زعيمهم خيرُ خلق الله لا بشرٍ
 «الله أكبر»... ما زالت هتافهمو
 نشكو إلى الله أحزابًا مضلّة
 ما زال فينا ألوفٌ من أبي لهبٍ
 ما زال لابن سلولٍ شيعة كثروا
 يا ربّ إنّنا ظلمنا، فانتصر، وأنر
 نشكو إليك حكوماتٍ تكيدُ لنا
 تبيح للهو حاناتٍ وأنديّة
 فما لدورِ الهدى تبقى مغلقة؟
 يا ربّ نصرّك، فالطاغوت أشعلها

(8) يشير الشاعر إلى جنود الحركة الإسلامية.

يا قوم قد أيد التاريخ حُجَّتْنا وحصص الحق للمستبصر الآنا
 إنا أقمنا على إخلاص دعوتنا وصدقها ألف برهان وبرهاننا
 لقد نفونا فقلنا: الماء أين جرى يحيي الموات ويروي كل ظمأنا
 قالوا: إلى السجن، قلنا: شعبة ليجمعونا بها في الله إخوانا
 قالوا: إلى الطور، قلنا: ذاك فيه نقرر ما يخشاه أعدانا! ^{بش}
 فهو المصلى نركي فيه أنفسنا وهو المصيف نقوي فيه أبدانا ^{هتما}
 معسكر صاغنا جنداً لمعركة ومعهد زادنا للحق تبياناً
 من حرموا الجمع منا فوق أربعة ضموا الألوف بغاب الطور
 راموه منفى وتضييقاً، فكان لنا أسـ بنعمة الحب والإيمان بستاناً! ^{دانا}
 هذا هو الطور شاعوا أن نذوب وشاء ربك أن نزداد إيماناً ^{هـ}

القصيدة الرابعة

دمعة وفاء

هذه القصيدة في الرثاء.. نظمها الشاعر عام 1950م في رثاء الأخ
المجاهد زكي الدين أبو طه.. وكان هذا الأخ قدوةً حسنةً في أفعاله وأقواله،
وكان من الدعاة المخلصين.. بذل الكثير لدعوته وأوذي وصبر ودخل السجن
عام 1949م.. وبعد خروجه منه انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة 1950م.

نشرت هذه القصيدة بتاريخ 22 أغسطس عام 1950م بمجلة «المباحث
القضائية» التي كانت تصدر في القاهرة.

وتبلغ أبيات القصيدة اثنين وعشرين بيتاً.

* * *

دمعة وفاء⁽⁹⁾

أبكي، وهل يشفي البكاء غليلاً؟ وقد انتوى عنا الحبيب رحيلًا
أبكي، وليس من البكا بُدّ، وإن كان المصاب على القلوب جليلاً
أبكي على غصنٍ نما في روضةٍ للحقّ أذبله المنون ذبولاً
أبكي على نجمٍ أنار ضياؤه دهرًا وأسرع للمغيب أفولاً
أبكي فتى فوق الثريا نفسه يلقي الممات ولا يعيش ذليلاً
أبكي فتى صلباً تكاد تخاله عمراً، يخيف ولا يخاف قبلاً
أبكي فتى إن ثار للحقّ انتضى عزماً يفلّ الصّارم المسلولاً
أبكي فتى كان الجميع يعدّه رجلاً، وإن كان الرجال قليلاً
صعبٌ علينا أن نرى بدرًا هوى ونرى التراب على سناه مهيلًا
صعبٌ بأن نجد الذي حمل الهدى أمسى على أعناقنا محمولاً
صعبٌ علينا أن يُباعد بيننا هذا الترابُ فلا نراه طويلًا
يا مَنْ ضربت لنا المثالَ مُضَحِّيًا وأريتنا صورَ الجهاد الأولى
فحييت في ظلّ العقيدة ثابتًا وأبيت إلا أن تموت أصيلاً
قد كان آخر ما نطقت بذكره «الله أكبر» رُتِلَتْ ترتيلاً
ألقوك في ظلم السجون وظلمها فأضأت في ظلماتها قنديلاً
وصبرت صبر الأنبياء كأنما تلقى ثباتك من يدَي جبريلاً
يا مؤمناً كانت حياتك قدوةً ستظلّ روحك في الطريق دليلاً
نم يا زكيّ الدّين إنك خالدٌ ما كان ذكرُك يا أخي ليزولا

(9) مجلة «المباحث القضائية» بالقاهرة بتاريخ 22 أغسطس 1950م.

نَمْ يَا شَهِيدَ الْحَقِّ مَسْرُورًا، فَقَدْ كَانَ الْمَنَامُ لَدَيْكَ قَبْلَ ثَقِيلَا
وَأَنْعَمَ بِلِقِيَاكَ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا وَبَوَجْهِ رَبِّكَ رَاضِيًا مَقْبُولَا
وَإِذَا لَقِيتَ إِمَامَكَ الْبَنَّا فَلَا تَنْسَى السَّلَامَ عَلَيْهِ وَالتَّحِيَّاتَا
أَبْلَغُهُ أَنْ جَنُودَهُ بَعْرَيْنِهِ لَنْ يَتْرَكُوهُ وَإِنْ لَقَّوْا عَزْرِيَا

* * *

القصيدة الخامسة

أنا والشعر

نظم الشاعر هذه القصيدة عام 1950م.. وبيّن فيها نظرتَه إلى الشعر ورأيه فيه..

وتم نشرها في مجلة «المباحث القضائية» بالقاهرة بتاريخ 1950/6/27م.
وتبلغ أبيات القصيدة تسعة وعشرين بيتاً.

* * *

أنا والشعر⁽¹⁰⁾

أريد له هجرًا فيغلبني حُبِّي وأنوي ولكن لا يطاوعني قلبي
وكيف أطيق الصبر عنه وإنما أرى الشَّعر للوجدان كالماء
فكم شدَّ من عزم، وبصر من اللُّشُّبُ وأيقظ من نوم، وذلل من صعب
لقد بغضت لي الشَّعر في مصر يبيعونه بالمال للبغي والنَّهب
فكم سافح قد لقبوه بفاتح وكم مسرف سمَّوه ذا الكرم
وكم فاجر باغ مشوا في ركابه الـحُحُ وسمَّوه ليثًا وهو أدنا من كلب
وكم ولغت في حرمة الناس كفه فغطو عليها كالخضاب على
إذا كان هذا ديدن الشَّعر في الشَّعْبُ فما هو إلا السَّمُّ في المشرب
وثلة سوء ظننت الشَّعر معدنًا العَصْبُ يصاغ بجهد كالنحاس وكالصلب
فجاءوا به وزنًا أجفَّ من الصفا وأثقل من هجرٍ على مُهَجَّةِ الصَّبِّ
لئن نحتوه كالتماثيل هيئة فمَن لهمو بالروح، والروح من
وشردمة أخرى سبى اليأس وللأس جندٌ كم يُميتُ وكم يسبِّي؟
إذا عرضوا للشَّعبِ قال قنوطهم عليلٌ قد استعصى على نطسٍ
نسوا ما به من مكرمات كوامن الطُّ كمون اللظى في الفحم والتبر في
لك الله شعبًا سامه جمعُ قلةٍ التَّطُّ فيا لك من جمعٍ، ويا لك من
يريقُ دماه المترفون لينعموا شُ بها خمرة تحلو على اللهو
يسيفونه لحمًا، فإذ ما تمتعوا هـ اللع رموه عظامًا كاد يقضي لها نحبي
يساقُ إلى ما يشتهون كأنه قطيعٌ، وويلٌ للقطيع من الذئب!

(10) «المباحث القضائية» بالقاهرة بتاريخ 1950/6/27م.

وطائفة أخرى أطاعوا هواهمو فجازوا إلى اللذات درباً إلى درب
يقولون: ليس المرء إلا فؤاده وكيف يعيش المرء جسماً بلا
فغاصوا به في الغيد والحب قَلْبُ
كأن لم يكن في القلب معنى سوى
إذا لم يكن في القلب دين وهمّة الحُب
وبغض لطغيان فما هو بالقلب!
عجبتُ لهم قالوا: تماديت في وفي المثل العليا، وفي المرتقى
فأقصر ولا تجهد يراعك، إنما الصَّبْر
فقلتُ لهم: مهلاً فما اليأس سَابِذْ حَبِي، وَالثِّمَارُ مِنَ الرَّبِّ
إذا أنا أبلغت الرسالة جاهداً ولم أجد السَّمْعَ الْمُجِيبَ، فما
وقفتك يا شعري على الحق وحده ذُنُوبُ
وإن قال غرّ: ثروتني، قلتُ: فإلم أنل إله قلتُ لهم: حسبي!
فَعِشْ كوكباً يا شعرُ يهدي إلى وإن قال لي: حزبي، أقول له:
الْعُ

* * *

القصيدة السادسة

ملحمة الابتلاء - الملحمة النونية

ملحمة أُلِّفت داخل السجن الحربي في القاهرة عام 1955م.. وهي تحكي قصة سجين قضى نحو عشرين شهرًا في سنوات 54، 55، 1956م في السجن الحربي... إنها تصوير بسيط لبعض ما قاساه المسلمون الذين عُذِّبوا في هذا السجن الرهيب..

وحقًّا إنها لملحمة، بل هي أحق بصفة الملحمة من كثير من الطوال التي يُسميها أصحابها ملاحم.. إنها سجل حي للصراع الرهيب الذي شهدته مصر في ظل طغمة السجن الحربي.. يُصوّر بالحروف وقائع لا تستطيع الأيام أن تذهب بجذّتها، وقد ضاعف من قيمتها الفنية ما تحتفظ به من حرارةٍ لاذعة يحس القارئ تحت لفحها أنه يشم رائحة المأساة، ويشارك الشاعر المعاني الآلمة المريرة.

هذه القصيدة وأمثالها سجّلت بأمانة ودقّة جزءًا أسود من جرائم الطاغوت ضد الحركة الإسلامية، وذكّرت المسلمين بأولئك الأحرار الذين يُقاسون مُرَّ العذاب من أجل الإسلام، والذين كادوا يُصدّقون فيهم كل ما تقذفه أقدية الإعلام الكاذب من مفتريات وأباطيل.

لقد أَلَّف الشاعر هذه القصيدة في ظروفٍ عصيبةٍ داخل السجن الحربي، حيث لم يكن يُسمح لأي معتقل بأن يُبقي معه ورقةً أو قلمًا... ولهذا كان الاعتماد في تسجيلها عقب تأليفها على حفظ الصدور، لا على كتابة

السطور... فقد حفظها عدد كبير من الشباب داخل السجن، فكانوا لها رواة..
ونقلها بعضهم خارج مصر بعد مغادرة السجن.

وقد تم نشر قسم منها في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر
الحديث».. واليوم ننشرها كاملة في هذا الديوان، وعدد أبياتها ثلاثمئة وبضعة
عشر بيتاً.

* * *

ملحمة الابتلاء أو النونية!

ثَارَ الْقَرِيضُ بِخَاطِرِي فَدَعَوْنِي أَفْضِي لَكُمْ بِفَجَائِعِي وَشُجُونِي
 فَالشَّعْرُ دَمْعِي حِينَ يَعْصُرْنِي الْأَسَى وَالشَّعْرُ عَوْدِي يَوْمَ عَزَفَ لِحُونِي
 كَمْ قَالَ صَحْبِي: أَيْنَ غُرٌّ قَصَائِدُ تَشْجِي الْقُلُوبَ بِلَحْنِهَا الْمَحْزُونِ؟
 وَتُخَلِّدُ الذِّكْرَى الْأَلِيمَةَ لِلْوَرَى تَتْلَى عَلَى الْأَجْيَالِ بَعْدَ قُرُونِ
 مَا حِيلَتِي وَالشَّعْرُ فَيُضُّ خَوَاطِرِي مَا دَمْتُ أَبْغِيهِ وَلَا يَبْغِينِي؟!
 وَالْيَوْمَ عَاوَدَنِي الْمَلَائِكُ فَهَزَّنِي طَرَبًا إِلَى الْإِنْشَادِ وَالتَّأْنِينِ
 أَلْهَمَتْهَا عَصْمَاءُ تَنْبُعُ مِنْ دَمِي وَيُمَدُّهَا قَلْبِي وَمَاءُ عَيْوُونِي
 نُونِيَّةٌ وَالنُّونُ تَحْلُو فِي فَمِي أَبَدًا فَكَدْتُ يُقَالُ لِي: «ذُو النُّونِ»
 صَوَّرْتُ فِيهَا مَا اسْتَطَعْتُ بَرِيشتِي وَتَرَكْتُ لِلْأَيَّامِ مَا يُعِينُنِي
 مَا هَمْتُ فِيهَا بِالْخِيَالِ، فَإِنَّ لِي بَغْرَائِبَ الْأَحْدَاثِ مَا يُغْنِينِي
 أَحْدَاثَ عَهْدِ عَصَابَةِ حَكَمُوا بَنِي مَصْرَ بِلَا خَلْقٍ وَلَا قَانُونِ
 أَنْسَتُ مَظَالِمَهُمْ مَظَالِمَ مَنْ خَلَّوْا حَتَّى تَرَحَّمْنَا عَلَى «نِيرُونِ»!
 حَسَبُوا الزَّمَانَ أَصَمَّ أَعْمَى عَنْهُمْ قَدْ نَوَّمُوهُ بِخُطْبَةِ وَطَنَيْنِ
 وَبِرَاعَةِ التَّارِيخِ تَسَخَّرَ مِنْهُمْ وَتَقَوُّمُ بِالتَّسْجِيلِ وَالتَّادُونِ
 وَكَفَى بِرَبِّكَ لِلْخَلِيقَةِ مُحْصِيًّا فِي لَوْجِهِ وَكِتَابِهِ الْمَكْنُونِ
 يَا سَائِلِي عَنْ قِصَّتِي، اسْمَعْ، إِنَّهَا قِصَصُ مِنَ الْأَهْوَالِ ذَاتُ شُجُونِ
 أَمْسِكْ بِقَلْبِكَ أَنْ يَطِيرَ مُفَرَّعًا وَتَوَلَّ عَنْ دُنْيَاكَ حَتَّى حِينَ
 فَالْهَوْلُ عَاتٍ وَالْحَقَائِقُ مُرَّةٌ تَسْمُو عَلَى التَّصْوِيرِ وَالتَّبْيِينِ
 وَالْخُطْبُ لَيْسَ بِخُطْبِ مَصْرِ وَحْدَهَا بَلْ خُطْبُ هَذَا الْمَشْرِقِ الْمُسْكِينِ

في ليلة ليلاء من نوفمبر فرغت من نومي لصوت رنين
 فإذا «كلاب الصيد» تهجم بغتة وتحوطني عن يسرة ويمين
 فتخطفوني من ذوي وأقبلوا فرحاً بصيد للطغاة سمين
 وعزلت عن بصر الحياة وسمعتها وقذفت في قفص العذاب الهون
 في ساحة «الحربي»⁽¹¹⁾ حسبك من باعث للرعب قد طرحوني

(11) السجن الحربي: سجن عسكري بناه الإنجليز في عهد الاحتلال؛ ليُودع فيه الجنود الذين يخالفون القوانين العسكرية. وهذا السجن هو في الواقع مجموعة سجون أو أقسام، في كل قسم عدد من الزنازين بعضها يبلغ المئات، والزنازة: غرفة ضيقة محكمة ليس بها إلا نافذة صغيرة عالية قرب السقف، وهي مطلية بطلاء قاتم. وقد أُعدت لتكون سجنًا انفراديًا.. ولكن كثرة المعتقلين الهائلة جعلت جنود الطُغيان يُودعون في الزنازة الواحدة سبعة أو ثمانية، بل عشرة في بعض الأحيان.. هذا بالإضافة إلى سجون: القلعة، وقرّة ميدان، وطرة، والقناة، والواحات، وغيرها... وقد أصبح السجن الحربي بين هذه السجون علمًا على التعذيب الوحشي، حتى أصبح مجرد ذكر اسمه يثير الرعب. وعلى أرضه قتل العشرات من المُعذَّبين... وأخيرًا وبعد أن أخذ القضاء في مصر شيئًا من الحرية أصدرت محكمة جنوب القاهرة في قضية واحدة من قضايا التعذيب بتاريخ 30 مارس 1975م مجموعة أحكام.. فقد قررت المحكمة تعويض المستشار علي جريشة بمبلغ ثلاثين ألف جنيه... يدفعها شمس بدران وزير الحربية السابق، وورثة حمزة البسيوني قائد السجن الحربي، وورثة اللواء سعد زغلول عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية، والعقيد حسن خليل، والرائد حسن كفاقي، والملازم أشرف صفوت الروبي.

وطالبت المحكمة رئيس الجمهورية بهدم السجن الحربي باعتباره شاهدًا على إذلال الشعب وتعذيب أبنائه، واعتبرت المحكمة هذه الأحكام بلاغًا إلى المدعي العام ضد أربعة وزراء عدل سابقين، وهم: بدوي حمودة، وعصام الدين حسونة، ومحمد أبو نصير، ومصطفى كامل إسماعيل.. بتهمة التواطؤ والتستر على جرائم التعذيب والإذلال. وأعلن القضاء براءة البلاد من كل من ساهم في إذلال الشعب وتعذيب أفرادهِ بصورة أو بأخرى.

وما زالت قضايا التعذيب والقتل التي تمت في السجن الرهيب تعرض على القضاء من حين لآخر، وتصدر فيها إدانات قضائية لعصر الإرهاب.. ومن هذه الإدانات التي صدرت عام

1984م:

=

ما كدتُ أدخلُ بابَه حتى رأت عيناى ما لم تحتسبه ظنوني
 في كل شبرٍ للعذابِ مناظرٌ يندى لها -والله- كلُّ جبين
 فترى العساكرَ والكلابَ معدّةً للنَّهش طوعَ القائدِ المفتون
 هذي تعضُّ بنابِها وزميلها يعدو عليك بسوطه المسنون
 ومضت عليّ دقائقٌ وكأنّها مما لقيتُ بهن بضغُ سنين
 يا ليت شعري ما دهان؟ وما جرى؟ لا زلتُ حيًّا أم لقيتُ منوني؟
 عجبًا!! أسجن ذاك أم هو غابة برزت كواسرُها جياعَ بطون؟
 أأرى بناءً أم أرى شقي رحى جبارةً للمؤمنين طُحون؟
 واهّا!! أفي حُلُمٍ أنا أم يقظة أم تلك دار خيالةٍ وفتون؟!
 لا.. لا أشك.. هي الحقيقة حيّة أشك في ذاتي وعين يقيني؟!
 هذي مقدمة الكتاب، فكيف ما تحوي الفصولُ السودُ من
 هذا هو «الحربي» معقلُ ثورةٍ تدعو إلى التحرير والتكوين!

أصدرت محكمة استئناف القاهرة حكمًا تاريخيًا ألزمت فيه وزير الدفاع بدفع 89 ألف جنيه تعويضًا لأسرة مواطن مصري من قرية كمشيش، مات في السجن الحربي، من أثر التعذيب الوحشي الذي تعرض له.. وقضت المحكمة برفض كل الدفوع التي تقدم بها وزير الدفاع بعد أن استمعت إلى الشهود الذين عاصروا عمليات التعذيب الوحشية داخل السجن الحربي، كما تبين لها أن رجال المباحث العسكرية في ذلك الوقت قد اقتسموا أموال المواطن المصري ومواشيه وأثاث بيته ووزعوه على أنفسهم بعد أن اطمأنوا لوفاته!!.. ووجهت المحكمة في حيثيات الحكم نداء إلى الرئيس محمد حسني مبارك لكي يأمر بهدم السجن الحربي فورًا.. وإزالته من فوق أرض مصر بعد أن ارتكبت فيه أحداث وحشية مزقت كرامة الإنسان المصري.. وأكدت المحكمة: أن وجود السجن الحربي حتى الآن يُعد عارًا مشينًا على كل مصر.. يشهد على إذلال شعبها، وعلى انتهاك كرامتها، وقالت: إن مصر لن تسترد كرامتها، ولن يعود إليها كبرياؤها وإشراقها ما دام السجن الحربي جاثمًا على صدرها، يُعيرها ويُهددها بعودة أيام مريرة وسوداء.. ما زالت محفورة في نفس كل مصري.

فيه زبانية أعدوا للأذى وتخصّصوا فيه الملعون
متبلدون.. عقولهم بأكفهم وأكفهم للشر ذات حنين
لا فرق بينهم وبين سيّاطهم كلّ أداة في يدي مافون!
يتلقفون القادمين كأنهم عثروا على كنزٍ لديك ثمين
بالرجل.. بالكرباج.. باليد.. بالعصا وبكل أسلوبٍ خسيسٍ دون
لا يقدرون مُفكّرًا ولو أنّه في عقل سقراطٍ وأفلاطون
لا يعبأون بصالحٍ ولو أنّه في زهد عيسى أو ثقي هارون
لا يرحمون الشيخ وهو محطّم والظهر منه تراه كالعرجون
لا يُشفقون على المريض وطالما زادوا أذاه بقسوةٍ وجنون
كم عالمٍ ذي هيبةٍ وعمامةٍ وطنّوا عمامته بكلّ مجنون
لو لم تكن بيضاء ما عبثوا بها لكنّها هانت هوانَ الدين!
وكبير قومٍ زينته لحية أغرّتهم بالسبِّ والتلعين
قالوا له: انتفها بكل وقاحة.. لم يعبأوا بسنينه الستين
فإذا تقاعس أو أبى يا ويله مما يُلاقي من أذى وفتون!!
أترى أولئك ينتمون لآدمٍ؟ أم هم ملاعين بنو ملعون؟
تالله أين الأدمية منهمو؟ من مثل محمودٍ، ومن ياسين؟
من جودةٍ أو من ديابٍ ومصطفى وحماةٍ وعطيّةٍ وأمين؟(12)

(12) هذه أسماء بعض زبانية العذاب في السجون الحربية في سنوات 54، 55، 1956م، وقد كانوا يختارون من الجنود الفسقة القساة المعروفين بميولهم الإجرامية، ثم يحشون رؤوسهم بمعلومات كاذبة عن الإخوان.. ويُغرونهم بمكافآت مالية باهظة، وعلاوات استثنائية سميت «علاوة إجرام»، وكلما زاد أحدهم في إجرامه ووحشيته انهالت عليه الترفقيات والعلاوات والمكافآت، ومع هذا هناك منهم من تأثر بالإخوان وتاب على أيديهم.

لا تحسبوهم مسلمين من اسمهم لا دينَ فيهم غير سبِّ الدين!
لا دين يردع.. لا ضمير محاسب لا خوف شعبي.. لا حمى قانون
مَن ظن قانونًا هناك فإنما قانوننا هو «حمزة البسيوني»⁽¹³⁾
جلاد ثورتهم وسوط عذابهم سمّوه زورًا قائدًا لسجون!
وجه عبوس قمطير حاقّد مستكبر القسمات والعزّنين
في خده شجّ ترى من خلفه نفسًا معقدة وقلب لعين
متعطشٌ للسوء، في الدم والغِ في الشرّ منقوع به معجون
هذا هو الحربي معقل ثورة تدعو إلى التطوير والتّحسين!!
هو صورة صغرى استعيرت من في ضيقها وعذابها الملعون
هو مصنعٌ للهول كم أهدى لنا صورًا تذكّرنا بيوم الدين
هو فتنة في الدين لولا نفحة من فيض إيمانٍ وبرد يقين
قلّ للعواذل إن رميتم مصرنا بتخلف التّصنيع والتّعدين
مصر الحديثة قد علتْ وتقدّمت في صنعة التّعذيب والتّقرين!!
وتفنّنت كي لا يمل مُعذب- في العرض والإخراج والتّلوين!!

(13) حمزة البسيوني ضابط كان برتبة مقدم «يكباش» عام 1954م، وهو قائد السجون الحربية حينذاك، وبقي قائدًا لها في هذه المحنة (1965م) هذا الضابط المأفون يحمل في صدره قلب وحش، وفي يده كرباج جلاد، وبين فكيه لسان «شرشوح»، لا دين له، ولا خلق، قال مرة للإخوان: هاتوا لي ربكم وأنا أحطه في زنزانية!! لعنه الله. والجدير بالذكر أنه طرد من الجيش في مطلع الثورة أيام حملات التطهير، ثم أعاده الرئيس خصيصًا لتعذيب الإخوان، ولقد لقي حمزة البسيوني بعض جزائه في الدنيا.. فقد أماته الله شر ميتة.. حيث صدم بسيارته شاحنة كبيرة من الخلف محملة بأسياخ الحديد.. فدخلت الأسياخ في جسمه، وأخذ يصيح ولا منقذ.. واجتمع الناس من حوله في طريق القاهرة الإسكندرية وهم ينظرون إليه ويقولون: هذا جزاء الظالمين.. إن الله يُمهّل ولا يمهّل.

أُسمعتَ بالإنسان يُنفخ بطنَه حتى يُرى في هيئة «البالون»؟!
أُسمعتَ بالإنسان يُضغَط رأسُه بالطوقِ حتى ينتهي لجنون!
أُسمعتَ بالإنسان يُشعل جسمُه نارًا وقد صبغوه «بالفلزين»؟
أُسمعتَ ما يلقي البريء ويصطلي حتى يقول: أنا المسيء.. خذوني!
أُسمعتَ بالآهات تخترق الدجى رباه عدلك.. إنهم قتلوني!!
إن كنتَ لم تسمع فسلِّ عمَّا جرى مثلي.. ولا يُنبئك مثل سجين
واسأل ثرى «الحربي» أو جدرانه كم من كسيرٍ فيه أو مطعون؟!
وسل السيَّاط السودَ كم شربت دمًا حتى غدت حمراء بلا تلوين!
وسل «العروسة» قُبْحَت من عاهر كم من جريحٍ عندها وطعين
كم فتية زُفوا إليها عنوة سقطوا من التعذيب والتَّوهين
واسأل «زنازين» الجليد تجبك عن فنِّ العذاب، وصنعة التلقين
بالنار أو بالزَّمهرير.. فتلك في حين، وهذا الزمهرير بحين
يلقى الفتى فيه ليالي عاريًا أو شبه عارٍ في شتا «كانون»
وهناك يُملَى الاعترافُ كما اشتهوا أو لا.. فويل مخالفٍ وحرون
وسل «المقطم» وهو أعدل شاهدٍ كم من شهيد في التلال دفين (14)

(14) يظن بعض الناس أن شهداء الإخوان الذين قتلهم الظالمون هم الستة الذين شنقوا علنًا بحكم المحكمة الهزلية التي سُميت زورًا «محكمة الشعب»، والحقيقة أن شهداء الإسلام الذين قتلوا في العهد الناصري في مصر كثيرون جدًا. يكفي أن تضيف إليهم 24 شهيدًا أطلقت عليهم المدافع الرشاشة داخل سجن ليمان طرة مع أنهم سجناء. والتحقيقات التي أجريت في السجن أدت إلى مقتل خمسة وتسعين من الإخوان تحت سيطرة الزبانية المتوحشين وأدوات التعذيب وأساليبها التي نقلوها من خبراء النازية والشيوعية... ومن هؤلاء الذين سقطوا صرعى العذاب: محمود يونس، حسين شعبان، والشيخ محمد الديب، ومحمد عطوة، وعلي الخولي، ومحمود أبو الخير، وغيرهم.

قتله طغمة مصر أبشع قتلة لا بالرصاص ولا القنا المسنون
 بل علقوه كالذبيحة هيئت للقطع والتمزيق بالسكين..
 وتهجدوا فيه ليالي كلها جلدًا، وهم في الجلد أهل فنون!
 فإذا السّياط عجزن عن إنطاقه فإلّكي بالنيران خير ضمير!!
 ومضت ليالٍ والعذاب مُسَجَّرٌ لفتى بأيدي المجرمين رهين
 لم يعبأوا بجراحه وصديدها لم يسمعوا لتأوه وأنين
 قالوا: اعترف أو مت.. فأنت فأبى الفتى إلا اختيار منون
 مخَّجَرٌ وجرى الدمُ الدَّفَاقُ يسطرُ في يا إخوتي استشهدتُ فاحتسبوني
 لا تحزنوا، إني لربي ذاهبٌ أحياء حياة الحرِّ لا المسجون
 وامضوا على درب الهدى لا تياسوا فاليأس أصلُ الضعف والتّوهين
 قولوا لأمي: لا تنوحى واصبري أنا عند خالقي الذي يهديني
 أنا إن حرمتُ وداعكم لجنّازتي فملائك الرحمن لم يدعوني
 إن لم يصلّ عليّ في الأرض امرؤ حسبي صلاتهمو بعليين
 أنا في جوار المصطفى وصحابه أحظى بأجر ليس بالممنون
 أنا في رُبا الفردوس أقفز شاديًا جذلان كالعصفور بين غصون
 ولدانها في خدمتي، وثمارها في قبضتي، ونعيمها يدعوني
 وإذا حرمتُ العرس في الدنيا فلي ما شئتُ فيها من حسان عين
 أمّا حسبك أن أموت مُعذَّبًا في الله لا في شهوة ومجون
 ما خنت ديني أو حمائي، ولم أكن يومًا على حرّماته بظنين
 فليسألوا عني «القناة» ويسألوا عني «اليهود» فطالما خبروني

سُحِقًا لجزارين كم ذبحوا فُتًى مستهترين كأنَّه ابن لبون⁽¹⁵⁾!!
 فإذا قضى ذهبوا بجثته إلى تل المقطم وهو غير بطين⁽¹⁶⁾
 لفوه في ثوب الدجى وتسألوا سارين بين مغاورٍ وحزون
 واروه ثم محوا معالم ومسبه فغدا كسرٍ في الثرى مكنون
 أخفوه عن عين الأنام وما دروا أن الإله يحوطهم بعيون
 الليل يشهد والكواكب والثرى وكفى بهم شهداء يوم الدين
 قالوا: محاكمة، فقلت: رواية أعطوا لمخرجها وسام فنون!
 هي شرٌّ مهزلةٍ ومأساةٍ معًا قد أضحكنتي مثل ما تبكينى!!
 أوعت سجلات القضاء قضية كقضية «الإخوان» أين؟ أروني؟
 الخصم فيها مدّعٍ ومحققٌ وهو الذي يقضي بلا قانون
 إلا هواه.. وما يدور برأسه من خلط سكيرٍ ورأي أفين
 رأييت محكمة ترأسها امرؤٌ يدعوه من عرفوه «بالمجنون»⁽¹⁷⁾
 رأييت أحرارًا رموا بهمولى لدى قاضٍ عديم دينه مأبون⁽¹⁸⁾
 رأييت إنسانًا يُدان لقوله الله ربى، والحنيفة دينى؟!
 أو قال: يا قوم ارجعوا لكتابكم طوق النجاة لكم، بكل يقين!
 يا سوء حظ فتى رأوا بسجله شرفَ الجهاد لعصبة الصَّهيون!

(15) ابن اللبون: ابن الناقة ذات اللبن، وهو الذي أتم سنتين ودخل في الثالثة.

(16) البطين: البعيد.

(17) هو البكباشي جمال سالم الذي دخل مستشفى الأمراض العقلية غير مرة. ثم عيَّنه فرعون مصر ليحاكم قادة الدعوة الإسلامية أمثال: حسن الهضبي، والشهداء: عبد القادر عودة، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، وسيد قطب، وقد أقصاه فرعون بعد ذلك، ومن أعان ظالمًا سلَّط عليه، سنة الله في خلقه.

(18) المأبون: المتهم.

أو كان يوماً في كتيبة فتيةٍ شُهرت بِنادقِها على السَّكسون!
أو كان حافظ «آل عمران» فقد ظفروا بسلطانٍ عليه مبین!
هذي الجرائم عند محكمة الرَّدَى هي غرة تزهو بأي جبین
والويل لامرئ استباح لنفسه إظهارَ تعذيب ودفع ظنون
سيعود «للحربي» يأخذ حظه وجزاءه الأوفى من «البسيوني»
أنا إن نسيْتُ فلستُ أنسى ليلة في ساحة الحربي ذات شجون
عدنا المساء من المحاكمة التي كانت فصول فكاهة ومجون
ما كاد يعرفونا الكرى حتى دعا داعي الردى.. وكفاك صوت أمين⁽¹⁹⁾
فتجمع «الإخوان» ممن حُكموا ذا اليوم من طنطا إلى بسيون
أما الأولى سيُحاكمون فأحضروا ليروا يقيناً ليس بالمظنون
وإذا بقائدنا المظفر حمزة! في عسكرٍ شاكي السلاح حصين
حشد الجنودَ وصفها بمهارةٍ وكأنه عمرو بأجنادين!!
وأحاطنا ببنادقٍ ومدافع فغرت لنا فاهها كفي التنين!!
طابور «تكدير»⁽²⁰⁾ ثقيلٌ مُرهقٌ في وقت أحلام وأن سكون
نعدو كما تعدو الظباء يسوقنا لهبُ السَّياط شكت من التسخين
ومضت علينا ساعتان وكلنا عرقٌ تصبَّب مثل فيض عيون
من خرَّ إغماءً يُفق عَجلاً على ضربات صوت للعذاب مهين
وَمَن ارتمى في الأرض من أو علةٍ.. داسوه دوس الطين
شُخه خة

(19) أمين السيد رقيب أول «باشجاويش» السجن الحربي، كان في يده سلطات مطلقة، ويستطيع أن يُعذب إلى حد الموت، وكان يرى نفسه كأنه أحد قادة الثورة!

(20) التكدير: كلمة من الكلمات المستخدمة في السجن الحربي، وهو لون من العقوبة للمساجين بحرمانهم من الخروج من الزنزانة، ونحو ذلك. ثم استخدمت فيما هو أكثر من ذلك.

لم يكف حمزة كل ما نؤنا به من فرط إعياء ومن توهين
 فأتى يوزع بالمبرق دفعه بالسوط من عشرين للخمسين
 كل ينال نصيبه بنزاهة في العد والإتقان والتحسين!!
 وإذا نسيت فلست أنسى خطبة ما زال صوت خطيبها يشجيني
 إذ قال حمزة -وهو منتفخ- فلم يترك لفرعون ولا قارون:
 أين الألى اصطنعوا البطولة وادعوا أني أعذبهم هنا بسجوني!
 أظننتمو هذا يخفف عنكمو؟ كلاً، فأمركم انتهى، وسلوني؟
 أم تحسبون كلام ألف منكمو عنكم وعن تعذيبكم يُثني؟!!
 إني هنا القانون، أعلى سلطة من ذا يحاسب سلطة القانون!!
 متفرد في الحكم دون معقب من ذا يخالفني ومن يعصيني؟
 فإذا أردت وهبتكم حريّة أو شئت ذقتهم من عذابي الهون
 من منكمو سامحته فبرحمتي وإذا أبيت فذاك طوعٌ يميني
 ومن ابتغى موتاً فها عندي له موتٌ بلا غسل ولا تكفين!!
 يا فارس الوادي وقائد سجنه أبنو الكنانة أم بنو صهيون؟
 هلا ذهبت إلى الحدود حميتها وأريتنا أفكار نابليون؟
 اذهب لغزة يا همام وأنسنا بجهادك الدامي صلاح الدين!!
 أفعدنا كبش النطاح.. ونعجة في الحرب جماء بغير قرون؟
 أعرفت ما قاسيت في زنزانة كانت هي القبر الذي يؤويني؟
 لا بل ظلمت القبر، فهو لذي التقى روض، وتلك جحيم أهل الدين!
 هي في الشتاء وبرده «ثلاجة» هي في هجير الصيف مثل أتون
 نلقى ثمانية بها أو سبعة متداخلين كعلبة «السردين»

هي مُنتَدانا وهي غرفة نومنا وهي «البوفيه» وحجرة
هي مسجدٌ لصلاتنا ودُعائنا الصلوة هي ساحة للعب والتمرين
وهي «الكنيف» وللضرورة حكمها ما الذنب إلا ذنبٌ مَنْ سجنوني
هي كل مالي في الحياة فلم يعد في الكون ما أرجوه أو يرجوني
الأرض كل الأرض عندي أرضها أمّا السماء فسقفها يعلموني
فيها انقطعتُ عن الوجود فلم أعد أعنيه في شيء ولا يعنيني..
لا أعرف الأنباء عن دنيا الورى إلا من الأحلام لو تأتيني!
يبكي الأقاربُ غيبة حسبوا لها شهرين فامتدت إلى عشرين
ولكم وفيّ زار أهلي سائلاً عني برفقٍ عليهم عرفوني!
والأهل لا يدرون: هل أنا ميتٌ فقدوه أم حيٌّ فيرتقبوني؟!
كم شاعر فقد الرجاء بعودتي فأعدّ فيّ قصيدة التّأبين
هذا نصيبي يا أخي من ثورةٍ قد كنتُ أحسبها أتت تحميني
حظي بها زنّانة صخرية سوداء مثل قلوب مَنْ أسروني
كم من ليالٍ بتّها أشكو الطوى والبرد، لكن أين مَنْ يشكيني؟
هم «كدروني» لا طعامَ أدوقه لا شيء من برد الشّتاء يقيني
فإذا انقضى التّكدير جاء طعامهم دكناً كأفكار الألى اعتقلوني
ضرب من التعذيب إلا أنّه لا بد منه لسدّ جوع بطون
فقطورنا عدسٌ مُزين بالحصى إنّ الحصى فرض على
قد عفته حتى اسمه وحروفه من عينه أو داله والسين (21)
وغداونا «فاصولية» ضاقتُ بها نفسي، فروية صحنها تؤذيني

(21) التعيين في السجن: هو ما عُيِّن لكل شخص من الطعام.

وعشاؤنا شيءٌ يُحيرك اسمه فكأنما صنعوه من غسيلين
لا طعم فيه ولا غذاء وإنما يحلو لنا من قلة التّموين
طبق يُكال لسبعةٍ أو نصفه وعليّ أن أرضى وقد ظلموني
لو أنّ لي في جوفها حرية لرضيت.. لكن أين ما يُرضيني؟
من أجل ضبط وريقةٍ أو إبرةٍ ولغير شيءٍ.. طالما استاقوني
وتجمّعوا حولي ضواري همّها نهشي.. ومالي حيلة تنجيني
إن نمتُ توفظني السّياط سريعةً فالنوم ليس يُباح للمسجون!
وإذا تحدّثنا لنذهب بالكري حظروا الحديث عليّ كالأفيون!
وإذا شغلنا بالقراءة وقتنا أخذوا جميعَ الكتب للتخزين!
وإذا تلونا في المصاحف حرّموا حمل المصاحف وهي خيرُ
وإذا تسلينا بصنع مسابح جمّعوا المسابح من نوى الزيتون⁽²²⁾
هذي سياستهم، وتلك عقولهم: عيشوا بغير تحرّك وسكون!
يأكموا أن تشتكوا أو تألّموا موتوا بغير توجع وأنين!
يا ويلَ من قد مسّه لهب الظما فدعا بلطف للجنود: اسقوني

(22) أراد فرعون وأتباعه أن يتفادوا النتائج التي أدّت إليها معتقلات فاروق وإبراهيم عبد الهادي في سنة 1949م، فقد جعل الإخوان معتقل الطور جامعاً للعبادة، وجامعة للعلم، ونادياً للرياضة، ومعسكراً للتدريب، ومؤتمراً للتعارف والتشاور، حتى قال أحد الإخوان: معتقل الطور هو المعسكر الدائم للإخوان المسلمين عام 1949م، السفر والمصاريف والنفقات والتكاليف على حساب الحكومة المصرية!

ولكن الحكام الجدد حرّموا في معتقلاتهم على الإخوان كل تجمع أو لقاء يتعارفون فيه ويتآلفون، بل حظروا عليهم اصطحاب الكتب ليحرّموا من الدراسة التي تُوضح فكرتهم وتثبتهم عليها.. بل حرّموا من المصاحف نفسها، حتى لا تكون التلاوة أنساً لقلوبهم، وزاداً لعقولهم وأرواحهم.. ولكنهم لم يستطيعوا أن يخدموا جذوة الإيمان في صدورهم.

فهنالك يُسقى المر من أيديهمو من كل مسعور عليك حرون
فالسوط حلال المشاكل، لم يضق يوماً بطول مآرب وشؤون
من راح يشكو الجوع فهو غداؤه ومن ابتغى رياء فأئى معين!
ومن اشتكى الإسهال يُجلد عشرة هي وصفة «الثوار» للمبطون!
ومن اشتكى وجع الصداع فمثلها أو ضعفها بمكان «الإسبيرين»
ومن اشتكى من سكر فبنحوها يجد العليل أعز «أنسولين»
هذا اكتشاف الثورة الفذ الذي فخرت به مصر على «برلين»!
يا عصابة «الباستيل» دونكمو، فلن آسى على الإغلاق «والتأمين» (23)
سدوا عليّ الباب كي أخلو إلى كتبي، فلي في الكتب خير خدين (24)
وخذوا الكتاب، فإن أنسي مصحف أتله بالترتيل والتلحين
وخذوا المصاحف، إن بين جوانحي قلباً بنور يقينه يهديني
الله أسعدني بظل عقيدتي.. أفيستطيع الخلق أن يشقوني؟!
لحساب من هذا الأتون مسجّر يلقي له بالفحم والبنزين؟
لحساب من بطشوا بأطهر ثلة روت دماها أرض «فلسطين»؟
لحساب من ضربوا بطولة فتية بعثوا صلاح الدين في حطين؟
لحساب من مكروا بإخوة «غانم» وابن «المنيسي» والفتى
لحساب من شنقوا المجاهد و«الفرغلي» محارب (25)
فأنا... (26)

(23) التأمين: مصطلح عندهم يعني إغلاق باب الزنزانة على السجين بالقفل.

(24) الخدين: الصديق.

(25) عادل غانم وأحمد المنيسي وعمر شاهين شهداء الإخوان من طلاب الجامعة في معارك القنّة سنة 1951م.

(26) الشهيدان يوسف طلعت والشيخ محمد فرغلي من أبطال الجهاد وقادته ضد الإنجليز وضد

لحساب مَنْ غدروا بـ«عودة»⁽²⁷⁾ من غير سلطانٍ عليه مبین؟
لحساب مَنْ قتلوا وما قد شوَّهوا من أوجه أو أظهر وبطون؟
مَنْ عذبوا، مَنْ شردوا، مَنْ جَوَّعوا وَمَنْ استذلُّوا من ليوث عرين؟
ألمصر؟ كيف، ونحن صفوة جندها في يوم حربٍ للعدو زبون؟
ألم للعروبة في قضيتها التي أغنى بها الشهداء عن تبییني؟
ألم يا ثرى لقضية الإسلام في أوطانه من طنجة لبكين؟
ألمسلمي الأحباش أم لأرتريا؟ من كل مرتقب لعون معين؟
ألم للآلى يفنون في القوقاز أو مَنْ ذبحوا في الهند أو في الصين؟
لا لا ورببي، إنني لأقولها بالجزم لا بالخرص والتخمين
لحساب من هذا أتدري يا أخي؟ لحساب الاستعمار الصَّهيون
أرضى بنا الطاغوت سادته لكي يعدوه بالتثبيت والتأمين
فالقوم يخشون انتفاضة ديننا بعد الجمود وبعد نوم قرون
يخشون «يعرب» أن تجود بخالدٍ وبكل «سعدٍ» فاتح ميمون
يخشون «أفريقيا» تجود بطارقٍ يخشون تركيا كنور الدين
يخشون دين الله يرجع مصدرًا للفكر والتوجيه والتقنين
ويرون كل تكتلٍ يدعو له خطرًا وخصمًا ليس بالمأمون
وهنا بدا البطلُ الهمام مُنفذا لمخطط التبشير والماسون

— = اليهود، يعرف ذلك أهل الإسماعيلية والقناة، كما يعرف ذلك أهل فلسطين. وهذا كان جزاؤهما الإعدام شنقًا!!

(27) الشهيد عبد القادر عودة الفقيه الإسلامي الكبير، الذي شهد له رجال الشريعة والقانون بالأصالة وسعة العلم وطول الباع. ومؤلف «التشريع الجنائي في الإسلام» وغيره من الكتب القيمة.. التي جازاه حاكم مصر عليها بالإعدام!!

لِيُسَدِّدَ الضربات في عنفٍ إلى أقوى بناء للدعاة متين
ليقول للرُّقباء: قروا أعيننا أنا باقتلاع الأس جد قمين⁽²⁸⁾
وكذاك قام «كمالهم»⁽²⁹⁾ في تركيا ليطارد الإسلام كالمجنون
واليوم سار «جمالهم» في خطه بتدرجٍ وتخابُثٍ ملعون
ذاك امروء عارٍ، وهذا ماکرٌ متلون يحكي أبا قلمون
يا مصر حظك مثل حظي عاثرٌ كم قد نكبت بغاشم وخئون!
قلنا: انقضى عهدُ الظلام وأقبلت مصر على عهدٍ أغر مكين
يمضي بآمتنا على سنن الهدى ويردها لتراثها الميمون
ويُعِيد عهد الرّاشدين يمدّه عزّ الرشيد ونهضة المأمون
أملٌ أضاء كلمحةً في ثورةٍ كنا لها في الروع خير معين
فإذا الذي ثرنا عليه تُعيده كالثور حين يدور في الطاحون!
ثرنا على ملكٍ، فجاءوا عشرة! كل يريد الملك غير رزين
وإذا رئيسهمو يرى في نفسه ملك الملوك ووارث الفرعون
في نفسه ودمائه: «أنا ربكم» لا تجعلوا ربّا لكم من دوني!
ثرنا على الأحزاب في تضليلها للشعب.. في توجيهها اللا ديني
ما بالها رجعت لنا حزبية عمياء ذات دعاية وطنين؟
تدع البناء يكاد يهوي ركنه وتهيم بالتزويق والتزيين!
صحف ومذيع وسيل دعاية متدفق النشرات جد هتون

(28) قمين: جدير.

(29) «كمال أتاتورك» عدو الإسلام والمسلمين الذي تأمر على الخلافة وألغاهها في تركيا عام 1924م.. هذا العميل سار على نهجه بعض الحكام وقاموا بمحاربة الحركة الإسلامية التي تربي الشباب على الإسلام، وتعمل لإعادة الخلافة إلى أرض الإسلام.

خطب تُوزع للُغُراة ليكتسوا وصحافة تُهدى إلى المسكين!!
 أكداس أرقام ولست ترى لها أثراً سوى عُري وجوع بطون
 برق ولا مطر، وأوراق ولا ثمر، وجعجة بغير طحين!
 ثورية هدامة شريرة باسم البناء تهدّ كل حصين
 كانت على الإسلام في أوطانه شرّاً من السكسون واللاتين
 نصبت مشانقها لقتل دُعائه بغيّاً، بلا شرع ولا قانون
 ومضت تصبّ على الألوف عذابها من كل ذي ثقة بهذا الدين
 ساءت لعمري ثورة مشنومة لم نجن منها غير تلّ ديون
 يجري الخراب وراءها أنى جرت وتقول بالتطوير والتّحسين!
 يا ثورة كنا حماة ظهورها صرنا وقود وطيستها المجنون
 قالوا: مباركة.. وما كانت سوى حمى على الأحرار أو طاعون!
 يا هرّة أكلت بنيتها غدرّة قُبِحت أمّا كنت غير حنون!
 أفهكذا يجزى الجميل بضده؟ أين الوفاء وأهله. دلوني؟
 واهّا لهم، كما أسرفوا وتحيروا في وصفنا من يسرة ليمين!
 قالوا -ويا لضلّال ما قالوا- فكم كالوا لنا تهماً بمحض ظنون!
 وعزّائنا أن النبي -فديته بأبي وأمي- كم رُمي بطعون!
 من ساحر حيناً، لباغٍ، مفترٍ أو كاهنٍ، أو شاعرٍ مجنون!
 قالوا كذاباً: دعوة رجعية معزولة عن قرنهما العشرين!
 الناس تنظر للأمام، فما لهم يدعوننا لنعود قبل قرون؟
 رجعية أنا نغار لديننا ونقوم بالمفروض والمسنون؟!
 رجعية أنا نصون حريمنا! بنس الحريم يكون غير مصون!

رجعية أنا نذرنا أنفسنا لله تحيا، لا لعيشِ دون!
 رجعية أنا نربي جنودنا للحق، لا لتفاهة ومجون!
 رجعية أن الرسول زعيمنا لسنا الذيول لـ«ماركس» و«لنين»!
 رجعية أن الجهاد سبيلنا! نعم الجهاد ذريعة التمكين!
 رجعية أن يحكم الإسلام في شعب يرى الإسلام أعظم دين!
 أوليس شرع الله، شرع محمد أولى بنا من شرع نابليون؟!
 يا رب إن تك هذه رجعية فاحشرن رجعيًا بيوم الدين!
 قل للذي جعل الكنانة كلها سجنًا وبات الشعب شر سجين
 يا أيها المغرور في سلطانه أمن النصار خلقت أم من طين؟
 يا من أسأت لكل من قد أحسنوا لك دائنين فكنت شرَّ مدين
 يا ذنب غدر نصبوه راعيًا والذنب لم يك ساعة بأمين
 يا من زرع الشر لن تجني سوى شرّ وحقد في الصدور دفين
 سيزول حكمك يا ظلوم كما انقضت دولّ أولات عساكر وحصون
 ستهب عاصفة تدك بناءه دكًا.. وركن الظلم غير ركين
 ماذا كسبت وقد بذلت من القوى والمال بالآلاف والمليون؟
 أرهقت أعصاب البلاد ومالهها ورجالها في الهدم لا التكوين
 وأدرت معركة تأجج نارها مع غير «جون بول» ولا
 هل عدت، إلا بالهزيمة مرة وربحت غير خسارة المغبون؟!
 وحفرت في كل القلوب مغاورًا تهوي بها سُفلاً إلى سجين
 وبنيت من أشلائنا وعظامنا جسرًا به نرقى لعلين
 وصنعت باليد نعشَ عهدك طائعًا ودققت إسفينًا إلى إسفين

أظننت دعوتنا تموت بضربة؟ خابت ظنونك، فهي شر ظنون!
بليت سياطك، والعزائم لم تزل منا كحد الصارم المسنون!
إننا لعمرى إن صمتنا برهة فالنار في البركان ذات كمون!
تالله ما الطغيان يهزم دعوة يومًا، وفي التاريخ بر يميني
ضع في يدي القيد، ألهب أضلعي بالسوط، ضع عنقي على السكين!
لن تستطيع حصار فكري ساعة أو نزع إيماني ونور يقيني!
فالنور في قلبي.. وقلبي في يدي ربي.. وربى ناصري ومُعيني!
سأعيش مُعتصمًا بحبل عقيدتي وأموت مُبتسمًا ليحيا ديني!
صبرًا أخي في محنتي وعقيدتي لا بد بعد الصبر من تمكين
ولنا بيوسف أسوة في صبره وقد ارتمى في السجن بضع سنين
هوّن عليك الأمر لا تعباً به إن الصعاب تهون بالتهوين
أمس مضى، واليوم يسهل بالرّضا وغد ببطن الغيب شبه جنين
لا تياسن من الزمان وأهله وتقل مقالة قانط وحزين..
شاة أسمنها لذنب غادر يا ضيعة الإعداد والتّسمين!
فعليك بذر الحب لا قطف الجنى والله للسّاعين خير معين
سنعود للدنيا نطبّ جراحها سنعود للتكبير والتأذين
ستسير فكّ الحق تحمل جندَه وستنتهي للشّاطئ المأمون
بالله مجراها ومرساها، فهل تخشى الرّدى، والله خير ضمين؟
ياربّ خلص مصر من أعدائها وأعن على طاغوتها الملعون
ياربّ إن السيل قد بلغ الزّبى والأمّر في كافٍ لديك ونون
باسم الفراخ الزّغب هيض جناحهم فقدوا الأب الحاني بغير منون

بدموع أمّ روعوها في ابنها وبكل دمع في العيون سخين
 بدعاء شيخ شرّدوا أبناءه ما بين معتقل وبين سجين
 بسهاد زوج غاب عنها زوجها فدعت لفرط جوّ وفرط حنين:
 ربّاه رد عليّ مؤنس وحشتي وأغث بعودته جياغ بنيني
 يا مَنْ أجبت دعاء نوح «فانتصر» وحملته في فلكك المشحون
 يا مَنْ أحال النار حول خليله روحًا وريحانًا بقولك: «كوني»
 يا مَنْ أمرت الحوت يلفظ يونسًا وسترته بشجيرة اليقطين
 يا ربّ إنا مثله في كربة فارحم عبادًا كلهم «ذو النون»!

* * *

القصيدة السابعة

السعادة

هذه القصيدة قالها الشاعر في التأمل نظمها عام 1956م في السجن الحربي.

وقد قامت بنشرها عدة مجلات، منها مجلة «حضارة الإسلام» الدمشقية، ومجلة «منبر الإسلام» القاهرية، ومجلة «التربية الإسلامية» العراقية. وتم نشرها أيضاً في كتاب «شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث».

وتبلغ أبيات القصيدة مئة وأربعة وسبعين بيتاً.

* * *

السعادة (30)

أمل إليه هفت قلو ب الناس في الزمن التليد
 أمل.. له غور القديم كماله سحر الجديد
 أمل.. إليه سعى الملو ك كما إليه رنا العبيد
 وتزاحموا كالهيم يد فعها الصدى عند الورود
 وتساءلوا عنه، ولكن من يجيب؟ ومن يفيد؟
 فمشرق.. ومغرب وكلاهما يرجو البعيد
 عادوا وكل سؤلهم: أين السعادة والسعيد؟
 وتخالفوا، وكل قلو م وجهة، ولهم عيد

* * *

الثَّراء!

قالوا: السعادة في الغنى فأخو الثراء هو السعيد
 الأصفر الرّنان في كفيه يلوي كلّ جيد
 يرمي به شركًا يصيد من الرّغائب ما يصيد
 وبه يدين له العصيّ وقد يلين له الحديد
 فإذا أراد.. فكلّ ما في هذه الدنيا يريد
 وإذا تمنّى الشّيء جاء كما تمنّى.. أو يزيد
 والناس خلف ركابه يمشون في حضرٍ وبيد
 يغنّو له ربّ القتا وتهيم ربّات القدود
 قلت: الغنى في النفس وهو لعمرك العيش الرّغيد
 كم عائل راضٍ، وكم مُثرٍ على بؤسٍ قعيد
 فيقيم في هم الطريق وفي الحفاظ على التلبد
 ويذوب في أطماعه هي ناره وهو الوقود
 فهو الشّقي بوهمه وبحرصه العاني الكدود
 وهو الفقير وإن بدا في مال قارون العيد
 يعدو هنا وهناك في شغلٍ كطوافٍ البريد
 يبغى المئات، فإن وفّت يبغ الألف من النقود
 جشعٌ به كجهنم يشكو: ألا هل من مزيد؟
 أمّا الألى حول الرّكا ب فهم لشهوتهم عبيد
 تخذوه صيدًا والغبي يظن أنهم المصيد

وَيَلِّ لَهُ وَيَلِّ إِذَا عَثَرْتُ بِهِ قَدَمُ الْجَدُودِ
 سَتَرَاهُ كَالْقَبْرِ الْكَنِيبِ — بَ وَكَانَ كَالصَّرْحِ الْمَشِيدِ
 قَدْ عَافَهُ الْخِلُّ الْوُدُ دُ كَأَنَّهُ نَسْتَنُّ وَدُودِ
 أَمْسَى نَذِيرَ الشَّوْمِ وَهَ — وَ الْأَمْسِ كَانَ بِشِيرَ عِيدِ
 أَمْسَى يَنْقُرُ كَالْعَوِي — لَ وَكَانَ يَطْرِبُ كَالنَّشِيدِ
 أَفْبَعْدَ ذَاكَ تَظُنُّ أَنَّ نَ أَخَا الثَّرَاءِ هُوَ السَّعِيدِ؟

* * *

النفوذ

قالوا: السعادة في النفوذ ذِ وسلطة الجاه العتيد
 من كالأمرير وكالوزير وكالمدير وكالعميد؟
 يرزقو إلى مَنْ دونه فيسبقون لما يريد
 وإذا رأى رأياً فذ لك وحده الرأي الرشيد
 كل يسارع في هوا ه وعن رضاه لا يحيد
 قلت: اطرحوا هذي المظا هر، واسمعوا بيت القصيد
 فأخو النفوذ بجاهه يشقى وإن سحب البرود
 ما عاش يحرص أن يدو م له النفوذ ويستزيد
 متملقاً مَنْ فوقه طمع المثوبة والمزيد
 ومخافة أن يسقط الـ كرسى يوماً أو يמיד
 مترضياً مَنْ دونه بعطائه أو بالوعد
 يبغى رضا كل الوري ورضاهموشيء بعيد
 فتراه يبسم للبغيض كأنه الحب الودود
 وتراه يمتدح الغبي كأنه الفطن الرشيد
 فاعجب لأزياء الملو ك وتحتها نفس العبيد
 لا يخذعنك ثلاثة حاطوا به مثل الجنود
 أبصرهمو -إن شئت- حين يجيء بالعزل البريد!
 تجد النفوذ هو كما تهوى وتنفرط العقود!
 ذهب البطانة واختفى الز زوار، وانفض الحشود!

قد كان سوق منى وكما نوا هم كتجار اليهود!
وافوه يوم نفاقه وجفوه أيام الركود!
وإذا رأوه دعوا: ألا بُعداً, كما بعدت ثمود!
أبعد ذاك تظن أن نأخا النفوذ هو السعيد؟!

* * *

الغرام

قالوا: السعادة في الغرام م الحلو.. في خصر وجيد
 في نرجس العين الضحو ك وفي الورود على الخدود
 في ليلة قمرء ليس بها سوى الشهب السهود
 فيها التناجي يُستطأ ب كأنه وتر وعود
 قلت: الغرام خرافة كبرى وأحلام شرود
 هو فكرة بلهاء أو نزغات شيطان مريد
 هو شغل قلب فارغ فقد التطلع للصعود
 وهو الضنى وهو الدمو ع، وشقوة القلب العميد
 ما أضيع الأعمار تقا ضى في الهيام، وفي السهود
 في حب غانية لعو ب في أماني، في وعود
 الحب حب الأم، والـ أب، والحليّة، والوليد
 حب المعاني والحقائـ ق لا القدود، ولا النهود
 حب يدوم مع الزما ن، فلا خداع ولا كنود
 فدع التي تهواك حيـ ث تراك كالزهر النضيد
 فإذا تغير دهرك الدـ دوار غيرها الصدود
 وإذا رأيت مع غيرك الدـ دُنيا مشيت تحت البنود
 أفبعد ذاك تظن عبـ د الغانيات هو السعيد؟!

السكون والخمول

قالوا: السعادة في السكون وفي الخمول وفي الخمود
 في العيش بين الأهل لا عيش المهاجر والطريد
 في لقمة.. تأتي إليك بغير ما جهد جهيد
 في المشي خلف الركب في دعة وفي خطو وئيد
 في أن تقول كما يقا ل فلا اعتراض ولا ردود
 في أن تسير مع القطيع مع وأن تقاد ولا تقود
 في أن تصيح لكل وال: عاش عهدكم المجيد
 في أن تعيش كما يُرا دُ ولا تعيش كما تريد!!
 قلت: الحياة هي التحر ك، لا السكون ولا الهمود
 وهي التفاعل والتطو ر، لا التحجر والجمود
 وهي الجهاد، وهل يُجا هد من تعلق بالقعود؟
 وهي الشعور بالانتصار ر ولا انتصار بلا جهود
 وهي التلذذ بالمتا عب لا التلذذ بالرقود
 هي أن تذود عن الحيا ض، وأي حر لا يذود؟
 هي أن تحس بأن كأ س الذل من ماء صديد
 هي أن تعيش خليفة في الأرض شائك أن تسود
 هي أن تخط مصير نف سبك في التهام وفي النجود
 وتقول: لا، وبملاء في لك لكل جبار عنيد
 هذي الحياة وشأنها من عهد آدم والجدود

فإذا ركنْتَ إلى السكون، فلنْ بسـكان اللـحـود
أفبعـد ذاك تظـن أن... أخـا الخـمول هـو السـعيد؟!!

* * *

الإيمان

قل للذي يبغى السعادة هل علمت من السعيد؟
 إن السعادة: أن تعيش لفكرة الحق التليد
 لعقيدة كبرى تحل قضية الكون العتيد
 وتجيب عما يسأل الحير أن في وعي رشيد
 من أين جئت؟ وأين أذهب؟ لم خلقت؟ وهل أعود؟
 فتشيع في النفس اليقين وتطرد الشك العنيد
 وتعلم الفكر السوي وتصنع الخلق الحميد
 وترد للنهج المسد د كل ذي عقل شرود
 تعطي حياتك قيمة رب الحياة بها يشيد
 ليظل طرفك رانيًا في الأفق للهدف البعيد
 فتعيش في الدنيا لآخرى لا تزول ولا تبعد
 وتمد أرضك بالسَّماء وبالملائكة الشهود
 وتريك وجه الله في مرآة نفسك والوجود

* * *

قلب

هذي العقيدة للسعيد هي الأساس، هي العمود
من عاش يحملها ويهتف باسمها فهو السعيد
هو مؤمن راسي اليقين كأنه الجبل الوطيد
غال، فلا يرضى مبيع النفس بالثمن الزهيد
الله منه قد اشترها وهو أوفى بالعقود
عرف الإله، فلم يعد في الشك يبدئ أو يعيد
عرف المراد من الحياة فلم يعيش الشريد
وتفاعلاً: هو والحياة يُفيدها وله تفيد
المال والجاه الحلال يراه أدنى ما يُريد
فإذا استفاد المال فهو لخير أمته رصيد
والجاه عدته لنفع الناس من بيض وسود
فيعيش من معرفته في مثل سلطان الرشيد
ملكاً تحيط به القلوب ولا تحيط به الجنود
ويعيش من إيمانه في عالم نائي الحدود
في عرض ما اتسع الوجود وطول ما امتد الخلود
ويعيش من أخلاقه في عالم الخير المديد
حلو الشّمانل في حياء الزهر، في طهر الوليد
في رقة الماء النّмир وبهجة الفجر الجديد
يحيا بقلب من حرير لا بقلب من حديد

يحنو على العاني كما يحنو النسيم على الورود
 ويذوب للشّاكي كما قد ذاب في الشّمس الجليد
 هو في الرّخاء وفي الشّدائد للجميــــــــــــــــع أخ ودود
 لا الفقــــــــر يذهله، ولا الإثراء يُنسيه العهود
 كالنجم يبدو في النّحوس بدوه عند السعود
 الحب مملء فؤاده والحب كنز لا يببــــــــيد
 حبّ كضوء الشّمس يُشرّق للمُســــــــوّد والمسود
 حب السعادة للبرية من قريب أو بعيد
 لا شامت بالمبتلين ولا لذي النعمى حسود
 لا حامل حقداً، فما أشقى الحياة مع الحقود
 يُسدي الجميل لكل حيّ من شكورٍ أو جحود
 وإذا صنعت به الجميل فليس بالرجل الكنود⁽³¹⁾

* * *

(31) الكنود: الذي ينسى الجميل والنعم.

قوة

هذا الرقيق تراه عند الروع في قلب الأسود
 متبسماً والدهر غضباً ن يزمجر بالوعيد
 فإذا رماه بالخطوب رماه بالعزم الجليد
 وإذا دعت له الواجبات.. فحمّته بما يؤود
 وجدته صلب المنكبين فلا يخر ولا يمد
 هو كالشعاع المستقيم فلا يضل ولا يحيد
 هو ناصع، لا يختفي خلف السّاتر والسدود
 فيه ثبات أخي العقيد لا اضطراب أولي الجود
 للناس أرباب ولكن ربه رب وحيد
 لا ينحني إلا لله عند الركوع أو السجود
 صلد الرجولة، لا يُرا ني، لا يُمالي، لا يكيد
 لا ينثني عند الوعو د، ولا يلين لدي الوعيد
 لا يلتوي كالأفعوا ن، ولا يُطأطي كالعبيد
 وإذا أريد على الدنية قال: إني لا أريد
 هو مطمئن لا يبيت من المخاوف في سهود
 وهو العزيز وإن يكن بين السلاسل والقيود
 وهو الغني وإن يبيت صفر اليدين من النقود
 أيدين للفقراء مرو أخلاقه نعم الرصيد؟
 أفيشتكى عقم الزما ن وقلبه خصب ولود؟

آماله تنمو على الأحداث كالروض المجود
 ويمدها إيمانه الد فاق كالدم في الوريد
 تجلوه الغد كالعرو س بدت تهادى بين غيد
 وتسبخ - في فمه الجهاد كمنهل عذب الورد
 فيقوم من ساح اللقا ء إلى لقاء من جديد
 ويذوق في كأس العذاب.. عذوبة الصبر الحميد
 ويشيم في وجه البلا ء مخايل النصر الأكيد
 والنصر مثل الغيث يُعرف بالصواعق والرعود
 هذا لعمري شأن ذي الإيما ن أو شأن السعيد
 لا حزن لا اندم على أمس, فأمس لا يعود
 لا خوف من غده, فخو ف غد ظنون لا تفيد
 لا حرص لا طمع, فدا ء الحرص كم يفري الكبود
 فلئن يعيش لهو السعيد وإن يميت فهو الشَّهيد
 قل للذي نشد السَّعا دة: دونك النبع الفريد
 إن السعادة منك, لا تأتيك من خلف الحدود
 هي بنتُ قلبك, بنتُ عقـ لك ليس تُشرى بالنقود
 فاسعد بذاتك, أو فدع أمر السعادة للسعيد

القصيدة الثامنة

ثورة لاجئ

هذه القصيدة من الشعر القصصي.. نظمها الشاعر عام 1962م في المعتقل بسجن المخابرات في القاهرة..

وقالها في حفلة أقيمت بالدوحة من أجل فلسطين عام 1962م. وتناقلتها مجموعة من الصحف والمجلات.. منها مجلة «الأفق الجديد» التي كانت تصدر في الأردن. ونشرتها مجلة «الشهاب» اللبنانية عام 1387هـ، 1967م..

وفي هذه القصيدة ظهرت البراعة في أسلوب الشاعر وحواره القصصي، وهو يخرج بالغلام من اليأس إلى الأمل ثم العمل. وتبلغ أبيات القصيدة اثنين وستين بيتاً.

* * *

ثورة لاجئ⁽³²⁾

لقيته غلاماً لم يبلغ الحلم، قد فرّ من خيام اللاجئين باكياً حزيناً حانقاً.. فكان
بيني وبينه حوارٌ سجّلته هذه القصيدة..

رأيتَه مطرقاً يبكي فأبكاني	وهاج من قلبي المكلوم أشجاني
في زهرة العمر إلا أن دهرك لا	يرعى الشيوخ ولا يرثى لصبيان
في نضرة الغصن، إلا أن عاصفة	هبت سموماً فأمسى غير فينان
تعلوه مسحة عز سالف غشيت	من طول ما ذرفت للدمع عينان
بكي فكادت له نفسي تذوب أسى	كأن راميه بالسهم أصماني
دنوتُ منه أحاكبه وأسأله	علي أواسي جراح المثقل العاني
سألت: ما اسمك؟ قال: اسمي يدل	معنى غريب على مثلي: أنا هاني
قبلته بين عينيه وقلتُ له:	هون عليك وإني خير معوان
يا ناعم الظفر يا بن العز، ما لك	تكف عن مدمع كالغيث هتان
ماذا دهاك؟ احك لي، علّ الحديث	مجفف عنك بعض المدمع القاني
حكى الغلام كأن الله يلهمه	إلهام يحيى صبيّاً أو سليمان
إن شئتَ يا عم فاسمع قصة عجباً	وإن تكن عُرِفْتُ للقاص والداني
يا عم، إني غصن لا حياة له	قطعت بالغدر عن أصلي وسيقاني
فقدتُ روعي أمي، والحبيب أبي	فقدت أهلي وأرحامي وجيراني
واللاعبون معي في شارع	موتى استراحوا، وموتى شأنهم
لقد تفرّق أهل الحي في بلد	إلى الكهوف بأقطار وبلدان

(32) «الشهاب» اللبنانية (ص8) - العدد الرابع عشر - سنة 1387 هـ - 1967 م.

فقدتهم، ففقدتُ العيش بعدهم كيف الحياة بلا أهل وخَلان؟!
 كيف الحياة لعصفور بباديةٍ ولا أليف، وقد هيض الجناحان؟!
 فقدتُ كل عزيز لي، فلا وطن ولا حبيب، ولا داري وبستاني
 دار الجدود التي فيها صباي ربا وطالما وسعت لعبي وإخواني
 لقد شهدت أبي والموت يصصره ولم يجد مُسعفاً من قلب إنسان
 نادى: بني اسقني فالصدر ملتهبٌ فقلتُ: نفسي الفدا للوالد الحاني!
 ناولته الماء أسقيه. فقبَّلني وأسلم الروح في طهرٍ وإيمان!
 يا عم مات أبي في خير معركةٍ وما بكيت عليه مثل أوطاني
 قد مات يدفع عن أرضٍ وعن لصوص أرضٍ وأعراضٍ وأديان
 ما مات، بل هو عند الله المحمَّد في الخلد يسرح طيراً بين أفنان
 يا عم ذي هي مأساتي التي عودي كما عصفت مثلي بعيدان
 مأساة شعبٍ غداً يحيا بلاوطن واللص يمرح فيه غير خزيان
 أراد أهل العمى أن يقسموا امرأةً ما بين زوج وعادٍ غاصبٍ ثان!
 فهل تسوِّغ هذا شرعة عرفت؟ أم هل يُصدِّق هذا عقل إنسان؟
 مسحت دمع الفتى الباكي وقلتُ له: سمعت منك، فخذ فكري ووجدان
 بني جرحك في قلبي يسيل دمًّا فارحم صباك، فما أشجاك
 جرح العروبة والإسلام في بلد الإسراء لم يختلف في شأنه اثْنانِ
 فلا تظننك غصناً لا أصول له فقد شددت إلى أصلٍ وأغصان
 لا تأس أن عشت بعد الأهل فكلنا لك ذاك الوالد الحاني
 وكل أزواجنا أمُّ بها شغفٌ لتفتديك بروح قبل جثمان
 ودارنا لك دارٌ لو رضيت بنا أهلاً بأهل، وإخواناً بإخوان

فإن تعش أنت والأهلون قد رحلوا ففبك سرّ بقاء الشعب يا هاني
قد عشت حقاً لأمر لا خفاء به وحكمة الله تخفى بعض أحيان
قد عشت للنصر بالإصرار تغرسه فتجتيه ثماراً ذات ألوان
فاخلع ثياب الأسى واليأس مُرتدياً ثوب الجهاد نشيطاً غير كسلان
تعلم الحرب في سرّ وفي علن فوق الجبال وفي سهلٍ ووديان
واجمع رفاقك وانفخ في عزائمهم مما بصدرك من عزم وإيقان
وقل لصهيون: لسنا أمة همجاً تمضي سفينتها من غير ربّان!
وقل لمن حسبونا قطعة نظمت من غير قافيةٍ من غير أوزان
معاذ ربي أن تنحل عروتنا أو أن نتيه وفينا نور قرآن
تهلل الناشئ الباكي وقال: أجل يا عم إني في أهلي وأوطاني
يا عم أحييت من عزمي ومن هبني يميناً أقبلها بشكران
اليأس كفر إذا ما حل صدر فتى^{ثقة} والحمد لله قد جددت إيماني
جعلت مني إنساناً له هدف وكنت من قبل أحياء بعض إنسان
إني أحس لماذا عشت بعد أبي ولم أمت مع أهلي مثل أقراني
إني حييت ليوم لا مردّ له للثأر، للدم، لاستردادٍ أوطاني
لأستعيد فلسطيناً كما غصبت بالدم لا بدموع أو بتحنان
لأزرع الأرض الغاماً أفجرها ناراً على من بها بالأمس أصلاي
لأحمل المدفع الجبار أطلقه في صدر من قتلوا أهلي وإخواني
لأنزع الدار والأرض التي نهبوا من كل لصٍ ونهبٍ وخوآن
لأرجع القبلة الأولى مطهرة من كل قردٍ وخنزير وشيطان
لأسترد ثغور الأمس ضاحكة حيفا ويافا وعكا روح بلداني

لكي تعود تُدوي في مآذنها «الله أكبر» من أن إلى أن
أمي فلسطين لا تأسى ولا تهنى إنا سنفديك من شيب وشبان
سنرخص الموت بالأرواح نبذلها سنعمل السيف في سرّ وإعلان
إذا انتصرنا ففي عزّ ومكرمة وإن قتلنا ففي جنات رضوان!

* * *

القصيدة التاسعة

ابتهال

هذه القصيدة قالها الشاعر في التوبة والابتهال.. نظمها في صيف عام
1962م في القاهرة، حين اعتقل لمدة خمسين يومًا في مبنى المخابرات
بالقبة.. وتنتشر لأول مرة في هذا الديوان..

وتبلغ أبيات القصيدة سبعة وأربعين بيتًا.

* * *

ابتهال

يا مَنْ له تغو الوجوه وتخشع ولأمره كل الخلائق تخضع
أعنو إليك بجهةٍ لم أحنها إلا لوجهك ساجداً أتضرع
وإليك أبسط كفّاً ذلّ لم تكن يوماً لغير سؤال فضلك ترفع
أنا مَنْ علمت- المذنب العاصي عظمت خطاياها، فجاءك يهرع
الكم ساعةٍ فرطت فيها مُسْرِفاً وأضعتها في زائل لا ينفع
كم بتّ ليلي كله متثاقلاً وذوو التقى حولي قيام ركع
كم بال في أذني شيطان الكرى فإذا الصباح على نئوم يطلع⁽³³⁾
كم زينت لي النفس سوء فعالها فاطعتها ضعفاً، وبئس الطيع
كم وسوس الخناس في صدري، يجد الذي يعلو قفاه، ويصفع
فأكم أقرأ الآيات لو نزلت على شم الجبال رأيتها تتصدع
ما لي أردد وعدّها ووعيدها ما رقّ قلبي أو جرى لي مدمع
كم من نفوس بالهدى ذكرتها فمضت كما يمضي الجواد
أيقظتها للخير حين تركتني المس في غفلة الدنيا أتيه وأرتع
يا حسرتاً!! أعظ الأنام، فليتني نفسي وعظت، فوعظ نفسي أنفع
يا ربّ حكمتك اقتضتني مُذنباً لأجيء بابك أستجير وأضرع
فترى عُبيدك تائباً مُستغفراً وأراك غفّاراً لذنوب يفظع
أنا إن عصيتُ فذاك من نقصي، غير الإله له الكمال الأرفع؟
هـ مـ

(33) هذا البيت إشارة إلى ما رواه البخاري ومسلم: عن ابن مسعود قال: ذكر عند النبي صص رجل نام حتى أصبح.. فقال: <ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه>.

يَا رَبِّ أَنْتَ خَلَقْتَنِي مِنْ طِينَةٍ وَمَنْ الَّذِي لِأَصُولِهِ لَا يَنْزِعُ؟!
 لَوْلَا هَذَاكَ وَنَفْخَةُ عَلْوِيَّةٍ أودعتها رُوحِي لَكَانَ الْمَصْرَعُ
 فِيهَا أَصُولٌ عَلَى التَّرَابِ تَرْفَعًا وَبِهَا أَحْلَقُ حِينَ تَصْفُو الْأَضْلَعُ
 الطِّينَ يَجْذِبُنِي إِلَيْهِ بِشِدَّةٍ وَالرُّوحُ تَصْعَدُنِي إِلَيْكَ وَتَرْفَعُ
 فَإِذَا ارْتَقَيْتُ إِلَى رِضَاكَ فَعَايَتِي وَإِذَا هَبَطْتُ فَدَائِمًا أَتَطْلُعُ
 هُوَ الْإِبْتِلَاءُ، عَلَيْهِ قَامَ وَجُودُنَا وَبِهِ نَهْيًا لِلْخُلُودِ وَنَصْنَعُ
 النَّارَ بِالشَّهَوَاتِ حَفَّتْ فَتْنَةٌ فَلِيْمَرْحِ الْفَجَّارُ وَلِيَتَمَتَّعُوا
 أَمَّا الْجَنَانُ فَإِنَّهَا مُحْفُوفَةٌ بِمَكَارِهِ تَدْمِي الْفَوَادَ وَتُوجِعُ
 الزَّادَ قَلًّا وَالْأَمَانَةَ بِعِيدَةٍ وَالظَّهْرَ نِضْوًا، وَالرِّفْقَ مُضَيِّعًا
 وَهَنَّاكَ قَطَاعَ الطَّرِيقِ طَوَائِفًا شَتَّى، تُضِلُّ عَنِ الْمَرَادِ وَتَقْطَعُ
 إِبْلِيسَ يَغْوِي وَالْهَوَى شَرَكًا لَهُ وَالْعَيْشَ يُغْرِي، وَالْأَمَانَةَ تَخْدَعُ
 وَهَنَّاكَ قَطَاعَ عَتَاةٍ أَعْلَنُوا حَرْبًا تُخَيِّفُ السَّائِرِينَ وَتُفْزِعُ
 جَرَعُوا عَلَيْكَ وَأَنْتَ تَحْلُمُ عَنْهُمْ! وَلِكُلِّ شَيْءٍ عِنْدَ رَبِّي مَرْجِعُ
 هَذَا الطَّرِيقِ، وَإِنَّهَا لِمُخَوِّفَةٌ رَبِّ أَهْدِنِي وَأَعِنِّي لَا أَقْطَعُ!
 يَا رَبِّ عَبْدُكَ عِنْدَ بَابِكَ وَاقِفٌ يَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَنْ يَخَافُ وَيَطْمَعُ
 فَإِذَا خَشِيتُ فَقَدْ عَصَيْتُكَ جَاهِلًا وَإِذَا رَجَوْتُ فَإِنَّ عَفْوَكَ أَوْسَعُ
 يَا رَبِّ إِنْ أَكَّ فِي الْحَقُوقِ مُفَرِّطًا فَلَأَنْتَ أَبْصَرُ بِالْقُلُوبِ وَأَسْمَعُ
 بَيْنَ الْجَوَانِحِ خَافِقِ يَهْوَى التَّقَى وَيَضِيقُ كَرْهًا بِالذُّنُوبِ وَيَجْزَعُ
 وَيَحِبُّ ذِكْرَكَ، وَالْقُلُوبُ إِذَا خَلَّتْ مِنْ ذِكْرِ رَبِّي فَهِيَ بَوْرٌ بَلْقَعُ
 وَلَكُمْ ذِكْرُكُمْ خَالِيًّا فَوَجَدْتَنِي وَالْقَلْبُ فِي وَجَلٍ، وَعَيْنِي تَدْمَعُ
 هَلْ لِي رَجَاءٌ أَنْنِي مِمَّنْ دَعَا يَوْمًا إِلَيْكَ وَقَالَ: تَوَبُّوا
 هـ، ا، جوعه ١٩١

وحملتُ مصباحَ الهداية مُرشدًا أهنأك كالقرآن نورً يسطع؟!
 ومشيتُ في ركب الهداة، وإن أكن أبطأتُ في طلب الكمال وأسرعوا!
 حسبي أحبهم وأقفوا خطوهم ولكم أرى حب الأكابر يشفع
 يا ربَّ مالي غير بابك مفرَّج آوي إليه إذا يعز المفزع
 مالي سوى دمعي إليك وسيلة وضراعتي، ولمن سواك
 إن لم أقف بالباب راجي رحمة ^{سأض} فلأي بابٍ غير بابك أقرع؟!
 إن لم يكن مني الذنوب، ومنك أن تعفو، فأين اسم العفو المطمع؟!
 أين الغفور؟ وأين رحمته التي وسعت جميع الخلق؟ أين
 هذا أوان العفو، فاعف تفضلاً ^{المهس} يا مَنْ له تغنو الوجوه وتخشع؟!

* * *

القصيدة العاشرة

مناجاة

نظم الشاعر هذه القصيدة في الدوحة في 14 شعبان 1405 هـ الموافق 4 مايو 1985م.. نظمها بعد جولة إسلامية طويلة في ماليزيا وباكستان ومخيمات اللاجئين الأفغان في بشاور..

وبينما كان في جولته الميمونة يواصل الليل مع النهار، ويتنقل من مكان إلى مكان، شعر بألم كبير في ظهره وإرهاق شديد.. وعاد إلى الدوحة وهو يعاني من شدة المرض الذي أقعده عن جامعته وجامعته ونشاطه الإسلامي المبارك..

وبعد أربعين يومًا على الفراش، حنَّت نفسه إلى الشعر بعد هجر طويل.. ونظم قصيدتين حلق فيهما أيما تحليق.. كانت الأولى منهما مناجاة وتضرعًا ودعاء ينطق بالحكمة، ويحمل روح الداعية الذي يلجأ للمولى عز وجل في الضراء والسراء، وفي الشدة والرخاء..

وتبلغ أبيات هذه القصيدة خمسة وأربعين بيتًا.

* * *

مناجاة

بعد أربعين يومًا على الفراش، من مرض أو هن العظم، وأنقض الظهر،
 أقعدني عن جامعي وجامعتي، وحال بيني وبين أحبائي وطلابي -حنت
 النفس إلى الشعر بعد هجر طويل- فجاد الخاطر بهذه الأبيات أناجي بها ربي،
 وأذكر بها ذنبي:

يا ربِّها جسمي يشيخ ويمرض والوهن وافاني سريعاً يوفض
 ولت سنو عمري كروياً نائم ومضى شبابي مثل برق يومض
 ودنا الرحيل ولم أهين زاده وخيام أيامي تكاد تقوض
 كل النفائس قد تعوض إن تضع والعمر -إن ضيعت- ليس يعوض
 ما بعد نضج الزرع غير حصاده هي سنة لله ليست تنقض
 وإذا أتى الأجل المقدر وقته لم يغن عنك مطبِّبٌ وممرض
 مالي -وقد فرطت في أمري- رب إلى نفحاته أتعرض
 ما كان من عذرٍ لتقصيري سوءٍ نفس تقاد إلى الجنان فتعرض
 كسلى عن الخيرات جد ثقيلة وهي الجواد إلى البطالة يركض
 نامت وأهل الجد قوام، ولم تنفض غبار النوم فيما ينفض
 لم تحد حذو الصادقين وظهرها من زحمة الأوزار أوشك ينقض
 قعدت، ولم تبذل كما بذلوا، ولم تسمع دعاء الله: «مَنْ ذَا
 أشهدتها، ربي: ألسنتُ بربكم؟ قالت: بلى، فلما تحيد وتنقض؟»
 ودنوت منها بالعطاء تحبباً يا ويحها، بالجهل، منك تبغض!
 يا ربِّ، في الأولى سترت فأتم سترك يوم عندك أعرض
 نفائس

ما لي سواك إذا الخطوب تفاقمتُ أمري إليك على الدوام مفوض
 لو كان لي ربّ سواك رجوتُه! فلمن أمد يدي ومن أستقرض؟
 ربّاه، إنّ رضاك غاية مطلبي ما ضرني سخط البرية أم رضوا
 يا جابر العثرات، كنّ لي جابرًا كم عاثر إن ترض عنه سينهض!
 وارفع مكاني ربّ- عندك بالتقي من ترفع اللهم من ذا يخفض؟!
 وابسط عليّ عطاء ربّ باسطٍ برّ، فإن تبسط فمن ذا يقبض؟!
 أنا عائدٌ لحماك، فاقبلني على ما بي، وإن تقبل فمن ذا
 آتيتني القرآن، فانفعي به وأقم به لي حجة لا تدحض^{١٩}
 بيّض به وجهي بيومٍ قادمٍ فيه الوجوه مسودّ ومبيّض
 يا خير من أعطى، وأكرم من عفا وإذا دعاه مفرط لا يعرض
 ربّ اسمك الغفار، فاعفُ تكرّمًا يدعوك مكسور الجناح مهَيّض
 عبدٌ بضاعته الكلام، جهاده صحفٌ تسطر، أو قريضٌ يقرض
 يدعو الورى للصالحات، وسفره في صالح الأعمال خلوّ أبيض
 ويحبّ دُرّب الصالحين، وإن أكنّ قصّرت فيما طوّلوه وعرضوا
 لكنّ له قلبٌ يحبّك كله وقلوبُ أهل الحبّ لا تتبعض
 سلّم لمن والاك، حربٌ للألى عادوك، فهو يحبّ فيك ويُبغض
 يأسى لهمّ المسلمين، وهمهم شَمّ الجبال بحمله لا تنهض
 فعساي يشفع لي إلهي أنني أبدًا لحزبك ناصرٌ ومحرّض
 أنت الذي أكرمتني منذ الصّبا ورعيتني، والخيرُ منك مقيّض
 وغرستني في الدين منذ حدثني ووهبتني فضلًا يطول ويعرض
 ورزقتني حبّ الأنعام تفضلاً إنّ المحبّة بالعصا لا تفرّض

وغمرتني بالفضل من قرني إلى قَدَمي، يراه محدِّقٌ أو مُغمض
 فأتم بالغفران فضلك... والرضا من ذاق حلوك لم يطق ما يحمض
 واحشُرْنِ في ركب الحبيب ومع الذين لوجه دينك بيَّضوا
 واجعل من العلم الذي علمتني ^{طف} نوراً يضيء، وروح بعث ينهض
 وارزقني الإخلاص حتى لا أرى إلا وكلّي في رضاك ممحّض
 وأتم بالتوفيق ما أرجو، فلا يُغتال، أو أعيا به، أو يُجهض
 وامنن عليّ بنفحة علوية أشفى بها من كلِّ داءٍ يمرض
 لأظلّ لاسمك ذاكرًا ومُسبحًا كي أرْتَضَى فيمن لديك قد ارتضوا
 وأعيش يا ربي لدينك ناصراً ما دام بي نفسٌ، وعِرْقٌ ينبض

* * *

القصيدة الحادية عشرة

يا أمتي وجب الكفاح

نظم الشاعر هذه القصيدة في الدوحة في 16 شعبان 1405 هـ الموافق 6 مايو 1985 م.. وهي القصيدة الثانية التي نظمها على الفراش.. وانطلق من آلام الظهر والعمود الفقري التي يعاني منها، إلى آلام أمته.. فكانت نفثات شعرية ضمَّنها نجاوي فكره وذوب نفسه المحترقة لهماوم الإسلام والمسلمين.. وكانت دعوة إلى العمل والكفاح، والصبر والثبات، الذي يقود إلى الفلاح..

وتبلغ أبيات القصيدة سبعة وتسعين بيتاً.

* * *

يا أمّتي وجب الكفاح

«حرّكت الأحداث خواطري، وأنا على فراش المرض، أسمع وأقرأ وأرى ما يجري على الساحة في ديارنا: صليبيون ولا صلاح الدين، وتثار ولا قطز، ومرتدون ولا أبا بكر! فكان من هذه المشاعر والخواطر هذه القصيدة».

يا أمّتي وجب الكفاحُ فدعي التشدّق والصياح
ودعي التقاعس ليس ينـ صرّ من تقاعس واستراح
ودعي الرياء فقد تكأـ مت المذابح والجراح
كذب الدّعاة إلى السلا م، فلا سلام ولا سماح
ما عاد يجدينا البُكا ء على الطلّول أو النّواح
لغة الكلام تعطلت إلا التّكلم بالرمـاح
إنّا نتوق لألسنٍ بكم على أيدي فصاح
يا قوم، إنّ الأمر جدّ قد مضى زمن المـزاح
سمّوا الحقائق باسمها فالقوم أمرهمو صراح
سقط القناع عن الوجوه، وفعلهم بالسـرّ باح
عاد الصّليبيون ثا نية، وجالوا في البطاح
عاثوا فساداً في الدّيا ر كأنها كلاً مباح
عادوا يُريقون الدّما ء، ولا حياء من افتضاح
والباطنية مثّلوا الدور المقرر في نـجـاح
دور الخيانة وهو معلوم الختام والافتتاح

من كل «حشاش» أعاد رواية «الحسن الصباح»
 عادوا وما في الشرق «نور الدين» يحكم أو «صلاح»
 كنا نسينا ما مضى لكنهم نكسوا الجراح
 رأييت لبنانا وما يجري به في كل ساح؟
 رأييت شاتلا وصبرا رأيا والبراجن والضواح؟
 رأييت من حملوا أنا جيل البشارة والسماح؟
 ما هم من الإنجيل إلا مثل أبناء السيفاح!
 لم يخلوا من ذبح شيء لو مشى في الريح طاح
 أو صبية كالزهر لم ينبت لهم ريش الجناح
 ذبحوا الصبي وأمه وفتاتها ذات الوشاح
 لم يشف حقدهم دم سفحوه في صلف وقاح
 عبثوا بأجساد الضحى يا في انتشاء وانشرح
 وعدوا على الأعراض لم يخشوا قصاصا أو جناح
 ما ثم «معتصم» يغيب ث من استغاث به وصاح!
 رأييت كيف يكاد للإسـلام في وضح الصباح؟
 رأييت أقصانا، وما هدم العدو وما استباح؟
 رأييت أرض الأنبياء، وما تعاني من جراح؟
 رأييت كيف بغى اليهو، وكيف أحسننا الصياح؟
 غصبوا فلسطينا وقا لوا: ما لنا عنها براح
 كسروا عن الأنبياء لم يخفوا وجوههم القباح
 لم يعبأوا بقرار «أمـن» دانهم أو باقتراح

ولطالما اجترحوا العظا نَمَ، لم يُبالوا باجتراح
 عاد التتار⁽³⁴⁾ يقودهم جنكيز ذو الوجه الوقاح
 عادت جيوشُهمو تهْدِ دُبالخراب والاجتياح
 يا ويل أرض دنسو ها، إنهم عقم الرّياح
 عادوا ولا «قطز» يُنا دي المسلمين إلى الكفاح
 لولا صلابة فتية غرّ، بدينهمو شحاح
 في أرض أفغان العريقـة في البطولة والصلاح
 غنموا السلاح من العدوّ، وقاتلوه بهذا السلاح
 بذلوا الدّماء، وما على مَن يبذل الدم من جناح
 بسيف «سيّاف» و«حكمت يار» أبطال النّفاح
 ورجال «برهان» و«يو نس» والمغاوير الصّباح
 قد بيّضوا وجه الحنيـة فة ليس ذلك بامتداح
 عاد المروق مجاهراً ما عاد يخشى الافتضاح
 نفقت هنا سوق النّفا ق تروّج الزور الصّراح
 فيها يُباع الفسق تحـت اسم الفنون والانفتاح
 وترى الفساد يصولُ جهـراً في الغدوّ وفي الرّواح
 وتطاول المرتدّ لا يُخفي من الكفر البّواح
 من كلّ أكذب من مُسيـة لمة، وأفجر من سجاج
 وجد الحصون بغير حُرّا س، لها فغدا وراح
 ومضى يُعربّد، لا يُبا لي، في حمانا المُستباح

(34) يعني الشاعر بالتتار هنا «الروس» وغزوهم لأفغانستان.

وتعاليت الأصواتُ تد عو للـفجـور وللـسـفـاح
 مسعورة، إن رحت تزجرُ ها تمادت في النباح
 ما من «أبي بكر» يؤدّ بهم ويكبح من جماح
 ويُعيدهم لحظيرة الإيـمان قد خفضوا الجناح

* * *

يا أمّة الإسلام هبّـوا واعملوا، فالوقت راح
 الكفر جمّع شملّه فلم النّزاع والانتطاح؟
 فتجمّعوا وتجهّزوا بالمُستطاع وبالمُتاح
 يا ألف مليون، وأيـمن همو إذا دعت الجراح؟!
 هاتوا من المليار ملـيونا، صحاحا من صحاح
 من كلّ ألفٍ واحدًا أغزو بهم في كلّ سّاح
 من كلّ صافي الروح يُوشك أن يطير بلا جناح
 ممن يخفّ إلى صلاة الليل بادي الارتياح
 ممن يعفّ عن الحرام، وليس يُسرف في المباح
 ممن زكا بالصّالحات، وذكره كالمسك فاح
 ممن يهيم بجنة الـفردوس لا الغيد الملاح
 من همّه نصح العباد وليس يأبى الانتصاح
 يرجو رضا مولاه لم يعبأ بمنّ عنه أشاح
 بكاء محراب، ولكـمن في الوغى كبش النّطاح
 مرّ على أعدائـه ولقومـه ماء قراح

فِي الرُّوعِ يَبْذُلُ رَوْحَهُ وَيَقُولُ عِنْدَ الْغَنَمِ: صَاحُ (35)
 إِنَّ ضَاقَتِ الدُّنْيَا بِهِ وَسِعَتَهُ «سُورَةُ الْإِنْشِرَاحِ»

* * *

لَا بَدْءَ مَنْ صَنَعَ الرَّجَا لَ، وَمِثْلُهُ صَنَعَ السِّلَاحَ
 وَصَنَاعَةُ الْأَبْطَالِ عَلَى مَمَّ فِي التَّارِثِ لَهُ اتِّضَاحُ
 مَنْ لَمْ يُقَنَّ أَصْلَهُ مِنْ أَهْلِهِ فَقَدْ النَّجَاحُ
 لَا يُصْنَعُ الْأَبْطَالُ إِلَّا فِي مَسَاجِدِنَا الْفِسَاحِ
 فِي رَوْضَةِ الْقُرْآنِ فِي ظِلِّ الْأَحَادِيثِ الصَّاحِ
 فِي صُحْبَةِ الْأَبْرَارِ، مِمَّنْ فِي رَحَابِ اللَّهِ سَاحِ
 مَنْ يُرْشِدُونَ بِحَالِهِمْ قَبْلَ الْأَقَاوِيلِ الْفِصَاحِ
 مَنْ صَمَتَهُمْ فِكْرٌ، وَذَكَرَ نَطْقَهُمْ وَفِعَالَهُمْ شُكْرٌ، وَمَجْلِسُهُمْ رِبَاحُ
 وَغِرَاسُهُمْ بِالْحَقِّ مَوْ صَوْلٌ، فَلَا يَمَحُوهُ مَاحُ
 مَنْ لَمْ يَعِشْ لِلَّهِ عَا شَ وَقَلْبُهُ ظَمَانٌ ضَاحُ
 يَحْيَا سَجِينَ الطِّينِ، لَمْ يُطْلَقْ لَهُ يَوْمًا سَرَاحُ
 وَيَدُورُ حَوْلَ هَوَاهُ يَلْهَثُ مَا اسْتَرَاحَ وَلَا أَرَا حُ
 لَا يَسْتَوِي فِي مَنْطِقِ الْإِي يَمَانٍ سَكْرَانٌ وَصَاحُ
 مَنْ هُمُّهُ التَّقْوَى وَآ خَرَّ هُمُّهُ كَأْسٌ وَرَاحُ
 شَعْبٌ بَغِيرَ عَقِيدَةٍ وَرَقٌ تَذْرِيبُهُ الرِّيحُ
 مَنْ خَانَ «حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ» يَخُونُ «حَيَّ عَلَى الْكِفَاحِ»

(35) أي: يدع المغامر لغيره، ويُنادي أصحابه ليأخذوها.

* * *

يا أمتي، صبرًا، فليد — لك كاد يُسفر عن صباح
لا بدّ للكبوس أن ينزاح عنا أو يُزاح
والليل إن تشدّ ظل — مته نقول: الفجرُ لاح
والفجر إن يبزغ فلا نوم، وحيّ على الفلاح

* * *

القصيدة الثانية عشرة

رسالة شوقٍ وحنين

منذ ربع قرنٍ من الزمان والدكتور القرضاوي يقضي شهر رمضان المبارك بالدوحة.. يخطب الجمعة، ويعظ المسلمين في درس العصر، ويُقدم البرامج الدينية الهادفة في الإذاعة والتلفاز. ويصلي بالناس التراويح، ويلقي درس التفسير، فيشعرون بمتعة التلاوة، وخشوع العبادة، وفقه الدرس..

وفي شهر شعبان من هذا العام سافر ظظظ إلى ألمانيا للعلاج، واضطر أن يقضي شهر رمضان المبارك في «بون» بعيداً عن الدوحة..

وبدأ رمضان وشعر الناس بفراغ كبير، واقتقدوا شيخهم الجليل -شفاه الله وعافاه- الذي أحبهم وأحبوه، وترقبوا عودته يوماً بيوم وساعةً بساعة..

وازداد شوقُ الشيخ إلى الدوحة.. إلى مساجدها العامرة وجمهورها المسلم.. فنظم هذه القصيدة في مدينة «بون» في 6 رمضان 1405 هـ، وأرسلها إلى الدوحة؛ لتتوب عنه في لقاء الإخوان والأحباب، وقدمها بهذه الكلمات:

«أطلَّ رمضان شهر الذكر والقرآن، شهر الصيام والقيام وربيع الإيمان والإحسان، فحلَّت الروح -حيث الجسد حبيس- شوقاً إلى الدوحة بمساجدها وأذانها وقرآنها وتراويحها وأحباب الروح فيها، فجاشت الخواطر بهذه القصيدة أهديتها إلى الإخوان والأخوات في صلاة التَّراويح»..

وقامت جريدة «الراية» القطرية بنشر القصيدة بعدد رقم 1692 في 18

رمضان 1405 هـ.

وتبلغ أبياتها سبعين بيتاً.

* * *

رسالة شوق وحنين

بين الجوانح في الأعماق سُكناه فكيف أنسى ومَن في الناس
 وكيف أنسى حبيبًا كنتُ من ^{بنس}أسير حسنٍ له جلت مزاياه؟
 ولم أزل في هواه ما نقضتُ له عهدًا ولا محت الأيام ذكراه
 قد شاخ جسمي ولكن في محبته ما زال قلبي فتى في عشق معناه
 من يصدق الحب يبقى حبه أبدًا أن يشخ قيس ليلى ينس ليلاه؟
 في كل عام لنا لقيا محببة يهتز كل كياني حين ألقاه
 بالعين والقلب بالأذان أرقبه وكيف لا وأنا بالروح أحياه؟
 والليل تحلو به اللقيا وإن قصرت ساعاتها ما أحيلاها وأحلاه!
 فنوره يجعل الليل البهيم ضحى فما أجل وما أجلى مُحياه
 ألقاه شهرًا ولكن في نهايته يمضي كطيف خيالٍ قد لمحناه
 هذا الحبيب الذي للخير أهلني ما كنتُ شيئًا بعلم الدين لولاه
 هذا الحبيب هو القرآن عشتُ له منذ الصِّبا وأنا ولهان أهواه
 واليوم أحيأ له في الأرض داعية حتى يُحقق حكم الله مغزاه
 ولم أزل أرتجي حسنَ الختام به عساه يشفع لي في يوم ألقاه
 من ربع قرنٍ مضى ألقاه في قطر فيا سعادة قلبي حين ألقاه!
 ألقاه في رمضان الخير مُبتَهجًا فيُشبع الروح معناه ومبناه
 واليوم أحرم من لقياه وأسفا يا للسجين! ولا قضبان تغشاه
 وإنما هي أقدارٌ تصرفنا من مسَّه الضر لم تحمله رجلاه!
 حمدًا لربي فلا سخط ولا جزع ما اختاره من قضاءٍ قد رضيناه

وما قضاه لنا في طيّبه نعم منها عرفنا، ومنها ما جهلناه
فإنما هو تمحيصٌ وتصفية وهو الطهور لمثلي من خطاياه
لكن عافية الرحمن أوسع لي أنا الضّعيف فما لي غير نعماه!
يا إخوة في رضا ربي عرفتهمو في دوحة الخير، يا حياكم الله
هلا بعثتم شعاعاً من مساجدكم تلوح منه لنا في «بون»
فلا أذان ولا قرآن نسمعه ولا تراوحنّا، واحرّ قلباه!!
إني لأذكركم في كل أمسية ذكر الغريب بعيد الدار مأواه
كم التقينا على ذكرٍ وموعظةٍ وأفضل الذكر قرآن تلوناه
في موسم الطهر في رمضان الخير، محبة الله لا مال ولا جاه
تحمعنّا من كل ذي خشية لله ذي ولع بالخير تعرفه دوماً بسيماه
جيل على الحب والإيمان مرتبط قد عبّرت عنه أرواح وأفواه
إن أنس أوجههم لم أنس وكلهم في نقاء الرّوح أشباه
قد قدروا موسم الخيرات والاستباق هنا المحمود عُقباه
فأسسوا صاموه قاموه إيماناً ومحتسباً أحيوه طوعاً، وما في الخير إكراه
والوقت كالنّاس منه ما يموت يحيا، فطوبى لمن بالذّكر أحياه
وكلهم بات بالقرآن مندمجاً كأنه الدم يسري في خلاياه
فالأذن سامعة، والعين دامعة والروح خاشعة، والقلب أوّاه
أحببتهم وأحبوني بلا غرض إلا لقاء على ربي وتقواه
ما كان لله يبقى دائماً رغم الشّدائد يلقاها وتلقاه
وما يقوم على دنيا ومنفعة فسوف ينهار ما لم تبق دنياه
شتان ما بين من إبليس قائده ومن يقود رسول الله ممشاه

مَنْ اهْتَدَى بِهِدَى الْأَخْيَارِ كَانَ خَيْرٌ، وَسَارَ وَعَيْنُ اللَّهِ تَرْعَاهُ
 وَمَنْ مَشَى خَلْفَ رُكْبِ السَّوِّءِ ضَاعَ عَالٍ
 كَمَا هُمَا طَرِيقَانِ مَا لِلنَّاسِ غَيْرُهُمَا
 كَلَّ امْرَأٌ يَتَوَلَّى مَا تَوَلَّاهُ
 إِمَّا طَرِيقَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ بَيْنَهُ
 فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ جَلَّتْهَا وَصَايَاهُ
 أَوْ الطَّرِيقَ إِلَى نَارِ مُسْعَرَةٍ
 يَهْوِي إِلَيْهَا مِنَ الشَّيْطَانِ أَغْوَاهُ
 فَوَيْلَ مَنْ يَشْتَرِي بِالْخُلْدِ هَاوِيَةً
 وَخَابَ مَنْ بَاعَ أَخْرَاهُ بِأَوْلَاهُ
 وَاعْجَبْ لِمَنْ سَارَ فِي دَرْبِ الْهَوَى
 وَلَمْ يَقْلُ سَاعَةً نَدَمَانٍ: وَيْلَاهُ!
 يَقُولُ: رَبِّي رَحِيمٌ سَوْفَ يَغْفِرُ لِي
 قَدْ غَرَّهَ الْجَهْلُ بِالْمَوْلَى وَأَغْرَاهُ
 مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ يَعْرِفُهُ بِرَحْمَتِهِ
 وَبَطْشِهِ، فَهُوَ يَرْجُوهُ وَيَخْشَاهُ
 يَا إِخْوَةَ الصِّدْقِ وَالْإِيمَانِ فِي قَطْرِ
 لَكُمْ فَوَادِي وَمَا ضَمَّتْ حَنَائِيَاهُ
 أَنْسَيْتُمُونِي آلَامِي بِحَبْكُمُو
 وَبِالْهَوَاتِفِ رَغْمَ الْبَعْدِ تَغْمِرْنِي
 وَصَادِقُ الْحُبِّ يُنْسِي الْمَرْءَ بُلُوَاهُ
 وَبِالْهَوَاتِفِ رَغْمَ الْبَعْدِ تَغْمِرْنِي
 لَوْلَا قِيُودٌ مِنَ الْأَسْقَامِ قَاهِرَةٌ
 فَضْلًا، وَذُو الْفَضْلِ يَبْدُو فِي
 لَطُرْتُ شَوْقًا إِلَيْكُمْ يَعْلَمُ اللَّهُ! حَائِيَاهُ
 لَوْ رَامَ طَيْرًا لَخَانَتْهُ جَنَاحَاهُ
 لَكُمْ تَمَنَيْتُ لَوْ أَقْضَى لِيَالِي مِنْ
 شَهْرِ الرِّضَا مَعَكُمْ أَشْتَمَ رِيَاهُ
 وَمَا حِيلَةَ الطَّيْرِ مَحْبُوسٍ وَلَا
 قَقَّةٍ ص ١٩٠
 لَكُمْ تَمَنَيْتُ لَوْ أَقْضَى لِيَالِي مِنْ
 وَكَمْ حَنَنْتُ لِسَجْدَاتٍ أَقُولُ بِهَا:
 سَبْحَانَ رَبِّي، وَأَدْعُوهُ بِعُلْيَاهُ
 وَيَا لَشَوْقِي إِلَى وَتَرِ الْقَتُوتِ بِهِ
 أَدْعُوهُ وَالدَّمْعَ بِالْعَيْنَيْنِ مُخْتَنِقٍ
 أَدْعُو الْكَرِيمَ الَّذِي عَمَّتْ عَطَايَاهُ
 فِي كُلِّ أَرْضٍ أَرَى الْإِسْلَامَ فِي
 وَالْقَلْبَ مُحْتَرِّقٍ مِمَّا شَهِدَنَاهُ
 تَفَرَّقُوا شَيْعًا وَكَفَرُ مجتمَعٌ
 مِنْ أَهْلِهِ وَبَنِيهِ قَبْلَ أَعْدَاهُ
 فَاجْمَعْ إِلَهِي شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى
 وَالْيَوْمَ يَبْدُو الَّذِي قَدْ كَانَ أَخْفَاهُ
 هَذَاكَ وَانْصِرْ لِمَنْ لِلدِّينِ وَالْإِلَهِ

يا إخوتي ليس لي منكم سوى طلب هل يخذل الأخ من في الله آخاه؟
 إذا قرأتُمْ وصلَّيْتُمْ صلَّاتِكُمْ وقام قائمكم لله ناجاه
 وهزَّت الأرض بالتَّسْبِيح سجْدته وبللت وجهه بالدَّمع عيناه
 وراح يدعو بما يحلو له طلباً للحسنين: بدنياه وأخراه
 فلا تخلوا أخاكم من دعائكمو بظهر غيبٍ وستر الليل أرخاه
 ولتشفعوا لي إلى ربي وربكمو وادعوا ليوسف: لا تتركه ربَّاه
 ادعوه يكشف ضرائي ويغفر لي فضلاً، فلا كاشف للضر إلا هو
 ادعوه يمنحني عفواً وعافية فليس أكرم منه في عطاياه
 ادعوه يقبلني في المخلصين له من استقاموا وقالوا: ربَّنَا الله
 وأنتم القوم لا يشقى جليسُكمو ومن شفعت له يكرمه مولاه

* * *

القصيدة الثالثة عشرة

بنت قنا

هذه هي القصيدة الثانية التي عثرت عليها بعد أن اختفت عني 38 سنة، وهي لون جديد من قصائدي، فهي قصيدة غزلية في أنثى هويتها من «بنات قنا»، فهل عرفت من هي بنت قنا؟

إنها «الْقَلَّة» القناويّة كما يُسميها المصريون. وقد كانت في حجرتي في تلك الفترة التي قضيتها في ضيافة المخابرات المصرية في مبناها في «سراي القبة»، نظمت هذه القصيدة مُتغزلاً في هذه الأنثى أو هذه القلة، على طريقة الألغاز أو الفوازير، وقد وجدتني رسمت بالقلم الرصاص شكلاً بدائياً للقلة، لعله يُنبه القارئ من أول الأمر على ما أريد.

* * *

بنت قنا

أنثى تروق أخا الهيام حسناء فارعة القوام
 جسم رشيق زانه عنق حكي عنق النعام
 جذابة تغريك طلب عتها فتدنو في اهتمام
 وتحسس أن لقاءها يشفي الصدور من الأوام
 وإذا حُرمت القرب من لها فالجوانح في ضرام
 عرفت بطهر القلب لم يعلق به خبث اللئام
 يُنبئك ظاهرها بما في قلبها وبلا كلام
 بنت الصَّعيد كريمة من طينة القوم الكرام
 قنوية، لكنها بيضاء كالبدن التمام
 قنوية خلعت عبا عتها، وألقت الاحتشام
 وكأنها بنت الزَّما لك في السَّفور والافتحام
 ثارت على قعر البيو ت، فلا تحب بها المقام
 إلا إذا هجم الشَّتا بالبرد يصحبه الغمام
 فتحجبت تلك الشَّهو ر، وكل شهر طول عام
 حتى إذا وُلد الربيع ع، مع الزَّهور والابتسام
 ودنا هجوم الصيف، أع جبهها الخروج على الدوام
 فبدت من الشَّرفات ضا حكة تجاذبك الغرام
 لا تستحي من وافدٍ يرنو إليها باهتمام
 فإذا دنا منها دنت فوراً، وأسلمت الزَّمام

ليست ترد يدًا ثلاً مسها ولو كفي غلام
 تلقاك في وضح النّها ر وإن أردت ففي الظلام
 وإذا اقتربت تريدها وتروم منها ما يُرام
 أفضت إليك بصدرها دون امتناعٍ أو خصام
 وحبّتك فاهها العذب تلـ ثمه ولا تخشى الملام
 وتحوط كفك خصرها وهي المطيعة في سلام
 والناس حولك ينظرو ن يُهنّونك باحترام
 ومن العجائب أنّها لتُحب من كل الأنام
 حتى التقى المستقـ يم بها تعلق واستهام
 ما كفه عنها تقا ه، ولا نهاه أن استقام
 لا، لا تُسينوا الظن فهـ ي طهورة طهر الغمام
 كلا، ولا عرفت خنا أو نالها يومًا آثام
 فتويّة لکنها رقت كأقداح المدام
 هي لا تُحب سوى العشـ ير أخي التّأطف والوائام
 إن لم تُعاملها برفـ ق قد يُفاجئها السقام
 ولربما منيت بجـ رح لا يكون له التّتام
 والكسر فيها ليس يجبره نطاسي العظام
 ولرب عنفٍ قد يُعر ضها لأن تلقى الحمام
 ماذا دها بنت الكر ام، ومَن رماها بالسّهام؟
 كانت فتاة الحي ليلـ ي كل قيس مُستهام
 ليست تُنافسها هنا لك «مدمزيل» أو «مدام»

واليوم قد أضحت نأنا زعها بناتُ العم سام (36)
هذي هي الدنيا، فليـس لـكـانـنـي فـيـهـا دـوام
أعرفت مَن أعني؟ لعلـك قد فهمت من المقام
قل لي: أ«بنت قنا» ترى أم يا ترى بنت الحرام؟

* * *

(36) المقصود: التلجمات الأمريكية ونحوها.

القصيدة الرابعة عشرة

الفراق الطويل

قلتها في رثاء الأخ الصديق الصدوق، شقيق الروح، ورفيق الدرب والسكن والدراسة والدعوة والمحنة، محمد الدمرداش مراد، في يوليو 1962م، وقد اختفت هذه القصيدة حتى حسبتها فيما ضاع من شعري، ثم عثرت عليها فجأة في كرتونة في مكتبي بالقاهرة في 2000/8/12م مع قصيدة أخرى كنت نسيئها تمامًا، فكانت فرحتي بهما فرحة من وجد ضالّة عزيزة عليه، بعد أن يؤس منها، وبعد ثمانية وثلاثين عامًا.

أنشأت هذه القصيدة في ظروف خاصة، فقد أُعِرْتُ إلى قطر سنة 1961م، وبعد انتهاء العام الدراسي عدت إلى مصر في صيف 1962م، في منتصف شهر يونيو، لأفاجأ بمرض أخي وصديقي محمد الدمرداش سليمان مراد، الذي زرته في مستشفى فوجدته مصابًا بشلل كلي، لا يكاد يتحرك فيه غير قلبه النابض، وعينه، ويكاد لسانه لا ينطق، وودعته لأسافر إلى قريتنا للسلام على الأهل، ثم أعود إليه، لأتفرغ له، فسرعان ما بلغني وفاته، وأنا في قريتي، فذهبت إلى قريته «السملوية» للعزاء، وكنت في حاجة إلى من يُعزيني، فلعلي كنت أشد من تأثر بموته.

وعدت إلى قريتي لأفاجأ باستدعاء لي من المباحث العامة بطنطا، لبيعثوني إلى القاهرة، فيسلموني من مكان إلى مكان، حتى استقررت في مكان لم أعرفه من قبل، ليس هو السجن الحربي، ولا سجن القلعة، ولا سجن

القناطر، ولا سجن مصر، إنَّه مبنى المخابرات المصرية، وكان معي أخي
وصديقي أحمد العسال رحمه الله، وإن لم يرَ أحدنا الآخر، فقد عزلونا، كلاً
منا عن أخيه في سجن انفرادي، وبعد سبعة أسابيع أفرجوا عنا.

في هذه الفترة أنشأتُ ثلاث قصائد، إحداهن نشرتها بعد فترة وجيزة، وهي
قصيدة «ثورة لاجئ» المنشورة في هذا الديوان. والثانية هي هذه القصيدة،
والثالثة قصيدة «بنت قنا». وإلى القصيدة الجديدة في رثاء أخي الدمرداش
رحمه الله.

* * *

الفراق الطويل

كان يوماً مقطب الوجه أسود يوم قالوا: مات الحبيب محمد!
 غرق الوجه بالدموع، وكاد الـ قلب من فرط ما به يتجمد
 وتهاويت مُثخناً مثل طير هاض منه الجناح سهم مُسد
 غلبت روعة المصيبة صبري ويقيني، ما استطعت أن أتجلد
 كيف لا؟ والحبيب قد ودعته اليـ يوم وداعاً لا يعرف «العود
 فرّق الموت بيننا، يا أسى قلـ أحمد لب طول الفراق لم يتعود
 يا لحظي!! أفقد الأم والوا لد حتى أخو شبابي يفقد!
 يا لحظي!! أخي الذي كان درعي في خطوبي، وكان سيفي المُهَنّد
 ربّ عفواً! ما منك أشكو، ولكن غلب الصدر حزنه فتنهّد
 حكمة الله فوق أوهام عقلي ولسان السماء والأرض يشهد
 ربّ، آمنت بالقضاء، فهب لي من لدنك الرضا، لأقوى وأصمّد
 حاش لي أسخط القضاء، ولكن ما خلقت الذي بصدري جلمد
 أنت عوّضتني به عن أخ الد م فكان الأخ الشقيق وأزید
 كان مُستودعاً لسري من آ لام أمس مضى، ومن حلم الغد
 إنها لم تكن صداقة أعوا م ولكنّه إخاء تجسّد
 ما رأيي يوماً سعيداً فيأسى أو رأيي يوماً حزيناً، فيسعد
 يبسم الدهر لي، فيطرب كالبلـ بل فوق الأغصان غنى وغرد
 ويصيب الزمان قلبي بسهم فكان الرامي إليه تتمد
 كنتُ منه وكان مني كشخص قد تسمّى بـ «يوسف» و«محمد»

فهو يبدو في صورتين وباسميه - خلف الرسمين روح مفرد

* * *

لهف نفسي على فتى عاش للـ ه والدين صارماً ليس يغمد
عاش للخير ساعياً غير وان عاش للحق جمره ليس تخمد
عاش للمجد والمعالي طموحاً ود لو يمتطي السحاب فيصعد
عاش في ساحة الفضيلة جنديا ه وفي حلبة الشهامة أوحده
خلق القرية الأصيلة فيه قبل غزو القرى بما ليس يُحمد
يا عضالاً حار الأطباء فيه أرقد الفارس الفتى شر مرقد
ليس فيه من الحياة سوى قلـ ب بصدر أنفاسه تتردد
وفم قبل كان يهدر بالفصـ حى تراه ما عاد يرغي ويزبد
ثم عين فيها بريق، ولكن قبل كانت شرارة تتوقد
أين باقي الفتى، لقد مات منه! بدن هامد، وحس تبلد
قدر الله أعجز الطب فار تد حسيراً يقول: مالي من يد
قل لذاك المغرور بالعلم: ما يفـ عل العلم، والردى لك مرصد؟
فجر الذر شامخاً، ثم طأطئ عند سر الحياة هذا المعقد

* * *

القصيدة الخامسة عشرة

بشرى ودعاء

مهداة إلى المولود الحبيب: يوسف غالب همت

زُفْتُ البُشْرَى بِمِيلَادِ سَمِيِّي بالحبيب بن الحبيب.. ابن علي
 «يوسف» الحسن، وأكرم باسمه هو نعم الفرع للأصل الزكي
 إرثه «الإيمان» و«الهمة» من أبويه، نعم ميراث الصبي
 جاء والأفراح في أقدامه مرحباً باكورة الغيث الهني
 يقرأ المكتوب من عنوانه ويرام العطر في الورد الشذي
 ربّ أنبتّه نباتاً حسناً وأعذه من حسودٍ وغوي
 رب، واحرسه وبارك خطوه واحمه من كل جبار عتي
 وارعه، وارع أخاه «ياسراً» والشّقيقات شذا الروض الندي
 وبعد عصر المبكيات العربي من مضلات الزمان السامري
 اجعل الدنيا لهم ضاحكة ما عجزنا عنه من حلم قصيما
 كم سمي لك في تاريخنا حباك الله بالعزم الفتّي
 واحبّ هذا الجيل نصراً ينجزوا في رضا الله، وفي هدي النبي
 «يوسف» المرجو لا تنس إذا ما حباك الله بالعزم الفتّي
 أنك ابن الدين والتقوى، فسر في رضا الله، وفي هدي النبي
 كم سمي لك في تاريخنا من نبي، وزعيم عبقرى
 فاقتبس منهم، وخذهم أسوة لك في الإيمان والخلق الرّضي

من فتى أيوب⁽³⁷⁾ خذ روح وفتى يعقوب⁽³⁸⁾ خذ صبر التقي

* * *

الأنشيد

النشيد الأول: يا سجون اشهدي.

النشيد الثاني: مسلمون.

النشيد الثالث: نشيد العودة.

النشيد الرابع: فتى القرآن.

النشيد الخامس: الله أكبر.

النشيد السادس: أنا المسلم.

* * *

(37) هو يوسف صلاح الدين الأيوبي.

(38) هو سيدنا يوسف الصديق ابن يعقوب —عليهما السلام.

تقديم

النشيد قوة روحية يُفيضها الله على مَنْ يشاء من عباده.. وهو جزء هام من حياة الناس.. تشدو به الشعوب، وترنم عليه الأجيال، وتطرب لسماعه النفوس، ويتربى عليه الشباب.. وإذا انطوى النشيد على هدفٍ سام وغاية نبيلة، كان حيًّا فياضًا يحرك المشاعر وينبه الغافل.. لا كلمات ميتة تنطق بها الشفاه، وتبج بها الأصوات.

وما أجمل النشيد حين ينظم للشباب.. يذكي فيهم شعلة الإيمان، ويثير في نفوسهم الحماس، ويدفعهم إلى العمل بإخلاص.. فينطلقون بإيمانٍ لا يتزعزع، وعمل لا يتوقف.. يحملون الراية، ويتقدمون الصفوف.. غايتهم رضوان الله، وأمنيته الشهادة في سبيله.

لقد نظم الدكتور القرضاوي هذه الأناشيد للأجيال المسلمة.. فتلقفها الشباب في كل مكان، وانطلق يشدو بها في كل بلد.. فأيقظت القلوب بالإيمان، وأشعلت فيها جذوة الجهاد.. وحرّكت النفوس إلى العمل، وأنارت للعاملين درب الكفاح.

* * *

النشيد الأول

يا سجون اشهدي

المؤمنون في هذا الزمان أشد الناس ابتلاءً وأكثرهم صبراً على الأذى في
سبيل دعوتهم.. ولقد تعرض أبناء الحركة الإسلامية المعاصرة إلى صنوف
شتى من العذاب والابتلاء، وشهدت سجون الطواغيت صمودهم وثباتهم على
الحق.

نظم الشاعر هذا النشيد عام 1949م ليكون رمزاً لهذا الثبات، وعنواناً
على الإباء والصمود.

* * *

يا سجون اشهدي

مرحبًا بالحراب مرحبًا بالسجون
 فى سبيل الكتاب كل شيء يهون
 إننا لا نهاب كل ما يوعدون
 كيف نخشى العذاب ومنانا المنون
 حسبنا يا شباب أننا مؤمنون
 نحن جند الإله وله مسلمون
 همنا فى رضاه لأننا لا نخون
 لا نبالي سواه كائننا من يكون
 فاقبسوا من هداه أيها الحائرون
 وانهضوا للحياه أيها النائمون
 يا سجون اشهدي قسوة الظالمين
 واذكري للغد صبر أهل اليقين
 فتية المسجد وحماة العرين
 كلهم مقتد بالرسول الأمين
 صامد مهتد لا، ولن يستكين

* * *

النشيد الثاني

نظم الشاعر هذا النشيد عام 1383هـ؛ ليتربى عليه الشباب، وليرد الإنسان العربي إلى جذوره الأصيلة.. ويجمع الأمة الإسلامية تحت هذا الشعار..
وقد حظي هذا النشيد بانتشار واسع في أرجاء العالم الإسلامي.. وانطلق به الشباب يهتفون ويرددون.

مسلمون مسلمون مسلمون حيث كان الحق والعدل نكون

فعمل على إيقاظ النائمين، وتنبيه الغافلين، ورد الشاردين.

وقامت بنشره مجلة «الحق» التي يصدرها المعهد الديني في قطر عام 1384هـ، وعدد من المجلات في أنحاء العالم الإسلامي.
كما تم نشره وتقديمه في كتاب «أناشيد الدعوة الإسلامية» -المجموعة الأولى عام 1402هـ/1982م.

* * *

مسلمون (39)

مسلمون مسلمون مسلمون حيث كان الحق والعدل نكون
 نرتضي الموت ونأبى أن في سبيل الله ما أحلى
 نحن صممنا وأقسمنا اليمين أن نعيش أو نموت مسلمين (40)
 مستقيمين على الحق المبين متحدين ضلال المبطلين

جاهدين أن يسود المسلمون

مسلمون مسلمون مسلمون
 نحن بالإسلام كنا خير معشر وحكمنا باسمه كسرى وقيصر
 وزرعنا العدل في الدنيا فآثمر ونشرنا في الورى «الله أكبر»

فاسألوا إن كنتمو لا تعلمون

مسلمون مسلمون مسلمون
 سائلوا التاريخ عنا ما وعى من حمى حق فقير ضيعا
 من بنى للعلم صرحا أرفعا؟ من أقام الدين والدنيا معا

سائلوه، سيُجيب: المسلمون

مسلمون مسلمون مسلمون
 نحن بالإيمان أحيينا القلوب نحن بالإسلام حررنا الشعوب
 نحن بالقرآن قومنا العيوب وانطلقنا في الشمال والجنوب

(39) «أناشيد الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى (ص26).

(40) المنون: الموت.

ننشر النور ونمحو كل هون (41)

مسلمون مسلمون مسلمون
نحن بالأخلاق نورنا الحياه نحن بالتوحيد أعلننا الجباه
نحن بالبشارة أدبنا الطغاه نحن للحق دعاة ورعاه

ذلكم تاريخنا يا سائلون

مسلمون مسلمون مسلمون
يا أخي في الهند أو في أنا منك، أنت مني، أنت بي
المغربي عن نصري عن إنه الإسلام أمي وأبي
نسب

إخوة نحن به مؤتلفون

مسلمون مسلمون مسلمون
قم نعد عدل الهداة الراشدين قم نصل مجد الأباة الفاتحين
شقي الناس بدنيا دون دين فلنعدها رحمة للعالمين

لا تقل: كيف؟ فإنا مسلمون

مسلمون مسلمون مسلمون
يا أخا الإسلام في كل مكان قم نفك القيد، قد آن الأوان
واصعد الرّبوة، واهتف وارفع المصحف دستور
الأذان، الزم

واملاً الآفاق: إنا مسلمون

مسلمون مسلمون مسلمون
حيث كان الحق والعدل نكون
نرتضي الموت ونأبى أن في سبيل الله ما أحلى المنون!
نم

* * *

النشيد الثالث

نشيد العودة

العودة إلى فلسطين يقين عند كل مسلم.. وبهذا يقين الإسلامي الراسخ
نظم الدكتور القرضاوي نشيداً للعودة.. لينشده الشباب ويتربى عليه جيل
النصر المنشود، ويتغنى به العائدون.. لأن العودة بالنسبة للمؤمنين أمر حتمي
وقضاء إلهي، وبشرى من رسول الله صصص تضيء لنا طريق هذه العودة
الظافرة.

كان نظم هذا النشيد عام 1384هـ عندما أقامت أسرة الشهيد عبد القادر
الحسيني بمدرسة قطر الإعدادية ندوة شعرية عن الدرة المغتصبة «فلسطين»
بمناسبة انتهاء حكم الأسرة للمدرسة، ودعت فضيلة الدكتور يوسف
القرضاوي ليسهم في هذه الندوة الحافلة، فألقى كلمة ختمها بهذا النشيد.

وقامت بنشره مجلة «الحق» التي يُصدرها المعهد الديني الثانوي بالدوحة
في عددها الرابع عام 1385هـ.. كما تم نشره وتقديمه في كتاب «أناشيد
الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى عام 1982م.

* * *

نشيد العودة (42)

أنا عائدٌ أقسمت أني عائد والحق يشهد لي، ونعم
ومعي القذيفة والكتاب الخالد ^{الشاهد} ويقودني الإيمان، نعم القائد

* * *

أنا قد مللتُ الشعر يندب نكبتني ورفضت أسمع غير شعر الثورة
فدعوا النحيب فليس يرجع بلدتي إلا زئير النار يوم الغارة

* * *

لغة الدما لغتي، وليس سوى أنا عن فنون القول أغلقت الفما
وتركت للرشاش أن يتكلما ^{الما} ليحيل أوكار العدو جهنما

* * *

صنم المخاوف والهوى ورتيب عيشي عفته وسئمته
والحق في صدري المغيظ ^{حطمت} حتى ينفس عنه ما صمته
^{كتمت}

* * *

يا ثالث الحرمين يا أرض الفدا آليتُ أجعل منك مقبرة العدا
ذقت الردى إن لم أعد لك سيدا ^ش طعم الردى دون الحياة
(43) ، ،

* * *

(42) «أنشيد الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى (ص118)، الطبعة الأولى، دار الفرقان.

(43) أي: إنني أفضل أن أذق طعم الردى على أن أعيش حياة التشرد.

أنا لا أهاب الموتَ إن هو أقبلًا بل أستحثُّ له خطاي مُهرولا
فهو السَّبيل لنصر شعبٍ مُبتلى ووراءه الفردوس طابت منزلا

* * *

يا إخوتي هبوا ليوم الموعد هذي يدي فضعوا يديكم في يدي
لا تذكروا لي الأمس، نحن مع ولنا صلاح⁽⁴⁴⁾ قدوة، فلنقتد
الْعَدُوَّ

* * *

(44) صلاح الدين قائد حركة حطين، وفتح المقدس.

النشيد الرابع

فتى القرآن

القرآن الكريم كتاب الله إلى جميع الخلق، ووحى السماء إلى الذين يعيشون على الأرض.. وهو الهدى الذي يتربى عليه فتية الإسلام، والنور الذي يستمدون منه القوة، والضياء الذي يبدد لهم الظلام.

وإلى كل فتى نشأ في طاعة الله، وتربى على تعاليم القرآن، وسار في طريق الدعوة إلى الإسلام، نظم الشاعر هذا النشيد.. ليكون زادًا يغذي الروح ويفيض على النفس ويزكي القلب ويدفع إلى العمل.

وتم نشره في كتاب «أناشيد الدعوة الإسلامية» المجموعة الأولى عام 1982م.

* * *

فتى القرآن (45)

أنا إن سألت القوم عني: من أنا؟ أنا مؤمن سأعيش دوماً مؤمناً!
 فليعلم الفجار أنني هاهنا لن أنحني، لن أنثني، لن أركنا!
 إنني رأيت الله في أكوانه وسمعت صوت الحق في قرآنه
 ولمست حكمته وفيض حنانه في سيرة المختار.. في إيمانه
 أنا مسلم، هل تعرفون المسلما؟ أنا نور هذا الكون إن هو أظلم!
 أنا في الخليقة ري من يشكو وإذا دعا الداعي أنا حامي
 أنا مصحف يمشي، وإسلام يرى ^{الظلم} أنا نفحة علوية فوق الثرى
 الكون لي ولخدمتي قد سخرنا ولمن أنا؟ أنا للذي خلق الورى
 أنا من جنود الله حزب محمد وبغير هدي محمد لا أهتدي
 حاشاي أن أصغي لدعوة ملحد وأنا فتى القرآن وابن المسجد!!
 أنا كوكب يهدي القوافل في وأنا الشهاب إذا رأيت المنكرا
 ما لي سوى نفس تعز على الشرأ ^{السَّ} قد بعثها لله، والله اشترى

* * *

النشيد الخامس

الله أكبر

نظم الدكتور القرضاوي هذا النشيد عام 1402 هـ ليكون هتافاً لكل مسلم،
وصيحة لكل مجاهد، وأنساً لكل مظلوم، وردعاً لكل ظالم.. فالله أكبر، نداء
المسلمين في كل صلاة، وصيحة المجاهدين في كل معركة، وعون
للمظلومين على الظالمين.. والله أكبر تسبيحة العابدين، وأنشودة الفاتحين،
واستغاثة الملهوفين.

* * *

الله أكبر

الله أكبر، الله أكبر تسبيحة العابد المطهر
 الله أكبر، الله أكبر أنشودة الفاتح المظفر
 الله أكبر، الله أكبر بها دكنا حصون خبير
 الله أكبر، الله أكبر بها ورثنا كسرى وقيصر
 الله أكبر، الله أكبر وما سوى الله فهو أصغر

الله أكبر.. الله أكبر

في مطلع الفجر.. في المساء في الظهر. في العصر. في
 العشاء
 نقرب الأرض للسماء مردين أقوى نداء

الله أكبر.. الله أكبر

عند التنادي إلى الجهاد يوم التلاقي مع الأعداء
 فوق الروابي وفي الوهاد نزلزل الأرض إذ ننادي

الله أكبر.. الله أكبر

أحلى نشيد، في يوم عيد الله أكبر، الله أكبر
 أول صوت لدى الوليد الله أكبر، الله أكبر
 بدء الصلاة نور الوجود الله أكبر، الله أكبر
 عند الركوع، عند السجود الله أكبر، الله أكبر

الله أكبر.. الله أكبر

* * *

النشيد السادس

أنا المسلم

في هذه الفترة التي نعيشها من تاريخ أمتنا بدأت صحوّة إسلامية مباركة
تدب في أوصال الشّباب في كل ركنٍ من أركان العالم الإسلامي.. وأصبح
هذا الشباب حديث الناس في كل مجتمع وناٍ.

إلى هذا الشباب المسلم الذي بدأ يعي ذاته، ويتعرف طريقه، ويعيش
للإسلام ودعوته، ويهتم بقضايا أُمّته.. نظم الشاعر هذا النّشيد عام 1402هـ
ليكون توجيهاً لمسيرتهم الميمونة، وهداءً لهم في صحتهم المباركة.

* * *

أنا المسلم

نشيد لشباب الصحوة الإسلامية

أنا المسلم.. لا أرجو ولا أخشى سوى ربي
عزيم النفس.. لا أحنى لغير الله من صلب
سليم القلب لا أحمل للناس سوى الحب
غزير الدمع في المحرا ب، ليث الغاب في الحرب
أنا درع لأوطائي أنا حامي حمى الشعب

أنا المسلم.. أنا المسلم

أنا المسلم.. دستوري ومنهاجي كتاب الله
وقائد دربي الهادي محمدنا رسول الله
وداري موطن الإسلام م ما دوى نداء الله
وأهلي أمة الإسلام م، هم حزبي وحزب الله
وزادي -بعد توحيدى ونعم الزاد- تقوى الله

أنا المسلم.. أنا المسلم

أنا بالعدل والإحسان ن مأمور وأمار
أنا نبع لكل الناس بالخيرات فوار
رحيم القلب، لكنى على الطاغين جبار
أنا كالماء رقراق أنا كالسيف بثار
أنا نجم.. أنا رجم أنا نور.. أنا نار

أنا المسلم.. أنا المسلم

أنا المسلم قلبي خا فق دومًا بحبِّ الله
وأقوالي وأعمالي أعطرها بذكر الله
فباسم الله أبدوها وأختمها بحمد الله
وهمي في الحياة هداية الدنيا لدين الله
فعيى، إن أعش لله وموتي في سبيل الله

أنا المسلم.. أنا المسلم

* * *